الفصل الثاني

تاريخ منطقة الرياض
خلال عهد الدولة السعودية الأولى

إعداد

الدكتور

محمد بن سليمان الخضيري

قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٣١٩هـ ١٤١٩هـ

المملكة العربية السعودية

K.S.A. 100 YEARS

توحيد وبناء

obeikan.com

المبحث الأول

منطقة الرياض منطلق الدعوة وتكوين الدولة

منطقة الرياض[١] بحدودها الإدارية الحديثة هي قلب شبه الجزيرة العربية، كما أنها تشكل جزءاً كبيراً من منطقة نجد الجغرافية. وهي تضم بلاد العارض والخرج والوشم وسدير والزلفي والحوطة والحريق والمحمل ووادي الدواسر. وكما اتضحت أهمية منطقة الرياض "اليمامة" خلال العصر القديم والإسلامي، في الفصول السابقة، ظلت أهميتها السياسية والاجتماعية قائمة خلال العصر الحديث، بل إن هذه الأهمية أضيف إليها بُعد جديد وهو الأهمية الدينية عندما قامت على أرضها، وتحديداً في منطقة العارض، الدعوة الإصلاحية السلفية التي حمل لواءها الشيخ محمد بن عبدالوهاب - يرحمه الله - منطلقة من بلدة العيينة، ثم آزره في نشرها الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية حيث قامت -بناء على ذلك- الدولة السعودية الأولى، وهي أول دولة وحّدت أغلب مناطق شبه الجزيرة العربية على منهج إسلامي سياسي واضح.

لقد أدت الدرعية دوراً كبيراً ومهماً في انتشار الدعوة السلفية الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، كما كانت القاعدة الأولى للدولة السعودية. وبذلك تعتبر المكان الذي غير مجرى التاريخ في الجزيرة العربية دينياً وسياسياً، وما ترتب عليهما من تغيرات في المجتمع، كانت أبرز سماته تماسكه وتضامنه وانصهاره في بوتقة واحدة.

آل سعود والدرعية:

لقد ورد في الفصل السابق تفصيل عن قيام إمارة الدرعية، وأمراء آل سعود الذين توالوا على

---

(١) رغم أن اسم منطقة الرياض، الذي يشمل المناطق والبلدان التي تتبع إمارة منطقة الرياض حالياً، لم يكن معروفاً في عهد الدولة السعودية الأولى، وإنما كان يشمل عدة أقاليم وبلدان منها العارض والخرج والوشم وسدير والزلفي والمحمل ووادي الدواسر وغيرها، إلا أننا سنورد لفظ "منطقة الرياض" حيثما وردت في هذا البحث للحديث عن تلك المناطق تمشياً مع هدف هذا الكتاب.

حكمها[١]، ويكفي هنا أن نشير إلى أن عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م قد شهد تولي محمد بن سعود حكم الدرعية الذي ازدهرت هذه المدينة في عهده وتعاظمت مكانتها، وخاصة عندما أصبحت بعد ذلك قاعدة انطلاق للدعوة الإصلاحية السلفية وعاصمة الدولة السعودية الأولى التي استطاعت لأول مرة بعد العصور الزاهرة للأمة الإسلامية، توحيد معظم شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة قوية مرهوبة الجانب. ومن أهم الأحياء في الدرعية حي الطريف وهو مقر الحكم، وفيه أقيمت قصور أسرة آل سعود. ومن الشواهد الحية على آثار الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى بعض أطلال قصور حكام آل سعود، ومن أشهرها وأهمها قصر سلوى؛ وهو مقر الحكم لأئمة الدولة السعودية الأولى، وقد أسسه الإمام محمد بن سعود بجانب الجامع، ثم توالى بناء القصور والوحدات السكنية.

استمر عهد الإمام محمد بن سعود أربعين عاماً (١١٣٩-١١٧٩هـ/ ١٧٢٦-١٧٦٥م) حكم في نصفها الأول أميراً وفي نصفها الآخر إماماً للدولة السعودية الأولى. وكان عهده بداية التحول في شبه الجزيرة العربية من حياة البداوة والتنقل والفوضى إلى حياة الاستقرار والأخذ بأسباب التمدن والحضارة

---

(١) انظر التفصيل عن قيام إمارة الدرعية في الفصل الأول من هذا الجزء. وكذلك المصادر والمراجع التالية:

ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ج٢، ص ص١٣-١٦؛ الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ)، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، القسم الثاني، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ص٨٦٠-٨٦٨؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، مطابع الشريف، ص٧٩؛ حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، **قلب جزيرة العرب**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ص١٧٤؛ العجلاني، منير، (د.ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد محمد بن سعود**، ص٧٧. وانظر تحليلاً جيداً لنسب آل سعود في: الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ص ص١٦٣-١٦٦؛ العيسى، محمد الفهد، (شوال ١٣٨٦هـ)، مدينة الدرعية القاعدة الأولى للدولة السعودية، **مجلة العرب**، الجزء الرابع، السنة الأولى، ص ص٣٢٤-٣٣٠؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، **الأخبار النجدية**، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض؛ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت٣٣٤هـ، ط ١٣٩٤هـ)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد ابن علي الأكوع، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص٢٨٤؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د.ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر**، وزارة المعارف، الرياض، ص١٩٠.

المادية الحديثة مع الحفاظ على دين الإسلام وتطبيق أحكامه.[١] وبعد وفاته - يرحمه الله - في شهر ربيع الأول عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، تولى الحكم بعده ابنه عبدالعزيز بن محمد بن سعود. يقول ابن غنام في سياق حديثه عن وفاة الإمام محمد بن سعود: "وفيها بايع عبد العزيز أهل الإسلام وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام، وأقبل على المبايعة والمعاهدة والمتابعة جميع الخاص والعام من سائر الأنام، وقدم لذلك المسلمون من البلدان القاصي منهم والدان، وتتابع على ذلك الحضر والبدوان".[٢] ويفهم من رواية ابن بشر أن الإمام محمد بن سعود كان قد عين ابنه عبدالعزيز بولاية العهد قبل وفاته. يقول في ذلك، عند الحديث عن وفاة الإمام محمد بن سعود "وكان ولي العهد بعده ابنه عبدالعزيز"[٣] وعلى كل فإن أمر تولية عبدالعزيز الإمامة بعد والده يعتبر أمراً متعارفاً عليه باعتباره أكبر أبنائه وساعده الأيمن من جهة، ولأنه تولى قيادة جيوش الدولة في عهد والده من جهة أخرى. وقد أكسبته هذه التجارب خبرة ودراية بشؤون الحكم فكان من الطبيعي أن يلي الحكم بعد أبيه. ومن أهم سلطات وواجبات ولي العهد أنه ينوب عن الإمام في تحمل مسؤوليات الدولة في حالات غياب الإمام في حملات حربية، أو في حالة مرضه، وكثيراً ما كان ولي العهد يتولى مهمات عسكرية أو إدارية في عهد أبيه من أجل تدريبه وإعداده لتولي الحكم مستقبلاً.[٤] وقد تمت البيعة بالإمامة للإمام عبدالعزيز في عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، وفي ذلك يقول ابن بشر "فكان إماماً للمسلمين وحامي ثغور الموحدين، فبايعه الخاص والعام وتتابع على البيعة الحضر والبدو والشيخ رحمه الله هو رأس تلك البيعة، ففتح الله الفتوح على يديه وملأ العدا هيبة، وسارت بفتوحه الركبان في الأمصار وملأت هيبته قلوب ملوك الأقطار".[٥]

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ص١٠٩.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، **تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، المدني، القاهرة، ج ٢، ص ٧٤.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٩٩.

(٤) للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر: الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص١١٣؛ العجلاني، منير، (د. ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية**، عهد عبدالعزيز، ص ص٣٣-٣٦؛ الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، **الدولة السعودية الأولى**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ج ١٠، الرياض، ص٤٦٥.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٩٩-١٠٠.

سهلة ومتعارف عليها. والواقع يدل على هذا التلاحم؛ لأن إجماع عامة الناس، وخاصة العلماء وأهل الحل والعقد على تولية الإمام عبد الله جاء بناءً على كفاءته، واحتراماً لرأي أبيه.[١]

وعلى الرغم من قصر المدة التي حكم فيها الإمام عبدالله بن سعود وانشغاله بالحروب التي خاضتها الدولة ضد حملات والي مصر، كما سنوضحه لاحقاً، إلا أنه استطاع أن يقوم بأعباء الحكم خير قيام، وكان صاحب سيرة حسنة مقيماً للشرائع، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. وكان يبذل العطايا ويحترم العلماء، وقد شاءت إرادة الله أن يواجه المصاعب الشديدة دفاعاً عن الدعوة الإصلاحية، وعن استقلال بلاده، فكان مجاهداً صابراً، وشجاعاً مقداماً حتى أن ابن بشر ذكر أنه يفوق أباه في هذا الجانب. وكان يشبه أباه في سيرته في مغازيه، وفي مقر إقامته في الدرعية، وفي مجالس العلم، وفي قضاء حاجات الناس.[٢]

وإذا كان عهد الإمام محمد بن سعود شهد ولادة الدولة السعودية وبنائها فإن عهد الإمام عبدالله بن سعود شهد تكالب الأعداء عليها، وخاصة والي مصر محمد علي باشا الذي نفّذ طلب الدولة العثمانية بالقضاء على الدولة السعودية مستغلاً ذلك لبناء قوته الذاتية التي هددت سيادة الدولة العثمانية نفسها. وقد أدت هذه السياسة العدائية بالإضافة إلى الظروف الداخلية التي شهدتها البلاد إلى سقوط الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، بعد أربع سنوات ونصف من تولي الإمام عبدالله بن سعود الحكم كما سيتضح في آخر هذا البحث. وكما هو معروف فإن سقوط الدولة السعودية كان مؤقتاً حيث إنه لم يمض على سقوطها سنتان حتى عادت إلى الظهور من جديد باسم الدولة السعودية الثانية.

---

(١) أشارت بعض المراجع إلى حدوث معارضة لحكم عبدالله بن سعود، لكن المصادر النجدية لم تذكر حصول مثل هذه المعارضة مما ينفي حقيقتها، التي أشار إليها كل من: عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، **الدولة السعودية الأولى**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ص٣٢٦؛ عسة، أحمد، (١٣٩١هـ)، **معجزة فوق الرمال**، المطابع الأهلية اللبنانية، ص١٦. وسماها العجلاني، منير، (د.ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد عبدالله ابن سعود**، ص ٢٢ منافسات. انظر كذلك:

Lorimer, J.G, (1986), op. cit. p. 1080

لوريمر النسخة المعربة، ص١٦١١.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٢٢.

منطقة الرياض تحتضن الدعوة الإصلاحية:

ومن خلال العرض السابق ومن خلال الأحداث المهمة التي شهدتها منطقة الرياض قُبيل وخلال عهد الدولة السعودية الأولى فإن من المسلّم به أن هناك تكاملاً وتعاوناً بين هذه الدولة وبين الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وإذا كان المجال لا يتسع لبسط الحديث عن نشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والظروف التي أحاطت بقيام الدعوة، فإن هذا التكامل بين الدعوة والدولة لا يكتمل ولا تتضح أهميته إلا بالحديث، ولو بشكل موجز، عن الملامح العامة لقيام الدعوة السلفية الإصلاحية، خاصة وأن بداياتها الأولى انطلقت من بلدان العارض، قلب منطقة الرياض، لتقوم بتصحيح المفاهيم العقدية والسلوكية والاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية، وهو ما قامت به في وقت وجيز في عمر الدعوات.(١)

ومن الجهود البارزة لهذه الدعوة محاولة العودة بالمجتمع إلى منابعه الإسلامية الأولى وإلى صفاء تطبيقاته كما كان في العصر الزاهر للأمة الإسلامية الذي بناه سيد الخلق وقدوة الأولين والآخرين نبينا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وما سار عليه سلف هذه الأمة من الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان من خلفاء وزعماء الأمة الإسلامية، وسيستمر ذلك بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كانت الدعوات السياسية أو الاجتماعية تحتاج إلى بيئة ومجتمع غني بالموارد الاقتصادية لكي تضمن لنفسها النجاح، فإن الدعوات الدينية تهتم أولاً بحاجة المجتمع إلى إصلاح ديني قبل النظر إلى الاعتبارات الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرها. لقد تمثلت هذه النظرية أولاً في الدعوة الإسلامية

---

(١) هناك العديد من الكتب التي تحدثت عن حالة بلاد نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما قام به الشيخ من تصحيح للعقيدة ومؤازرة الدولة السعودية لهذه الدعوة. انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق. وبعضها كتب خاصة بالشيخ ودعوته مثل: العثيمين، عبدالله الصالح، (د. ت.)، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، دار العلوم، الرياض ص ص ٩-٢٣؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، **الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب حياته ودعوته**، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٥-١٤؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، **سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٣-١٥؛ أمين، أحمد، (١٩٧١م)، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ص ١٩-٢٠.

الأولى التي قام بها الرسول ﷺ في مكة المكرمة، وهي واد غير ذي زرع، فلم يحل ذلك دون نجاحه في إقامة دولة إسلامية مهيبة الجانب لأن الله سبحانه وتعالى أراد لهذه الأرض أن تكون قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، فأغناها الله ببركة هذا الدين وهذا النبي الأمين، وأصبحت كما كانت في عهد نبينا إبراهيم عليه السلام يأتيها رزقها رغداً من كل مكان. يقول الحق تبارك وتعالى عن إبراهيم ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[١] وإذا كانت الأمور تقاس ببعضها تشبيهاً أو تأكيداً فإن منطقة الرياض شهدت مولد الدعوة الإصلاحية السلفية مع فقرها الاقتصادي وتفككها الاجتماعي وتناحرها السياسي.

تنسب الدعوة الإصلاحية السلفية في شبه الجزيرة العربية إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي ولد في بلدة العيينة في منطقة الرياض عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وهو ينتمي إلى أسرة آل مشرف، وهي فرع من آل وهبه أحد بطون قبيلة تميم المشهورة.[٢] لقد ظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عصر ابتعد فيه الناس عن الدين الإسلامي الحنيف وخالط عقيدتهم شوائب من الشرك والبدع والخرافات حتى أضحى المجتمع في شبه الجزيرة العربية، ومنها بلاد نجد، بعيداً عن سمات المجتمع الإسلامي عدا بعض البيوت والعائلات التي تنبهت للخطر وحاولت الاحتفاظ بنقائها الديني قدر المستطاع. وفي ظل هذا المجتمع وفي أحضان هذه البيئة نشأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[٣]

تعتبر قبيلة بني تميم، التي ينتسب إليها الشيخ، من أشهر القبائل في شبه الجزيرة العربية التي كان لها

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٢٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٨٠. أما نسبه فهو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد ابن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب. وقد ذكر محقق كتاب ابن بشر، نقلاً عن وثائق علماء الوهبة وثبوتهم، سلسلة نسب الشيخ إلى أن أوصلهم إلى معد بن عدنان. وهناك مزيد من التفصيلات عن نسب الشيخ في: العثيمين، عبدالله الصالح، (د. ت.)، مرجع سابق، ص٢٥.

(٣) للاطلاع على حالة المجتمع الإسلامي عموماً، وبلاد نجد خصوصاً، خلال القرن الثاني عشر الهجري، راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٥-١٤؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٤؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص٩-٢٣؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٥-١٤.

نفوذ سياسي كبير، وهي من القبائل التي حافظت على دينها وتقاليدها، وفي الوقت نفسه حافظت على موطنها الأصلي في إقليم نجد، واستقرت وتوطنت وتركت حياة الرعي والترحال. وقد ساعدها على الاستقرار اشتغالها بأوجه النشاط المستقر مثل الزراعة والتجارة.[١] ومن جهة أخرى برز من قبيلة تميم عدد من العلماء في مختلف فروع الشريعة، حيث يلاحظ أن أكثر من نصف العلماء النجديين في فترة ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب ينتمون إلى آل وهبه من تميم، وأن ما يقرب من نصف هؤلاء ينتمون إلى فرع آل مشرف، وهو فرع أسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذا يدل على أن أسلاف الشيخ من آل وهبه، وخاصة آل مشرف قد تبوءوا مركز الصدارة العلمية في منطقة نجد.[٢]

كانت عائلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تلك البيوت المحافظة على دينها فنشأ نشأة علمية دينية حيث كان والده من العلماء البارزين، تولى القضاء في العيينة وحريملاء، وكان جده الشيخ سليمان بن علي عالماً جليلاً ومرجعاً في الفقه. وكان أشهر علماء القرن الحادي عشر، انتهت إليه الفتوى في نجد، وكان قبل ذلك قاضياً في روضة سدير قبل أن ينتقل إلى العيينة قاضياً هناك. وكان عمه الشيخ إبراهيم ابن سليمان عالماً في الفقه.[٣]

أما الشيخ نفسه فكان منذ صغره شغوفاً بالعلم وكانت لديه مؤهلات النجابة والذكاء حيث كان حاد الفهم، وقاد الذهن، سريع الحفظ، فصيحاً فطناً. حفظ القرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة من عمره، ولم يكن يمارس ما كان يمارسه الأطفال من أترابه من اللهو واللعب بل استغل وقته أحسن استغلال بالتزود من العلوم النافعة ومجالسة العلماء والأخيار من الناس. ثم بدأ بدراسة العلوم الإسلامية وخاصة الفقه الحنبلي على يد والده.[٤] وخلال نشأته الأولى كان يلاحظ ما كان عليه المجتمع في بلاده من بعد عن

---

(١) أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ج٢، جغرافية المملكة العربية السعودية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ص ص١٧٢-١٧٣.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٥٠؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص١٧.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٢٥-٢٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٨١؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٦-١٧؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٦٠؛ سعيد أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص١٨.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٢٥-٢٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص٢٦-٢٧؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص١٩.

الدين وانحراف عن المنهج الإسلامي القويم. وكان يتألم لما وصل إليه الناس في المجتمع من تعطيل للفكر السليم وتشبث بقشور العادات والتقاليد التي نأت عن أحكام الإسلام وأوامره ونواهيه مع مرو الزمن.

ومنذ ذلك الوقت المبكر من حياته عزم الشيخ محمد بن عبدالوهاب على القيام بما يعتقد أنه واجب عليه تجاه مجتمعه وبني جلدته، نهض نهضة أولي العزم من الرجال المخلصين وبدأ يتسلح بسلاح العلم والمعرفة، فكان بالإضافة إلى دراسة واقع مجتمعه والعوامل المؤثرة فيه، يطلب العلم في بلدته العيينة على يد والده وجده وعمه، حيث درس كتب الفقه الحنبلي وكتب التفسير والحديث والأصول، كما عني عناية خاصة بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.(١) وعندما كان عمره اثنتا عشرة سنة تزوج، وفي سن الثالثة عشرة أدى فريضة الحج للمرة الأولى، ثم زار المسجد النبوي ومكث في المدينة المنورة حوالي شهرين حيث رأى خلال هذه الفترة واقع المجتمع وحاجته إلى الإصلاح.(٢)

ومن الوقفات المهمة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، رحلاته خارج بلاده سعياً لطلب العلم. فبعد أن حج للمرة الثانية أخذ قسطاً من العلم في مكة المكرمة، ثم توجه إلى المدينة المنورة حيث تلقى العلم هناك على يد عالمين جليلين هما الشيخ محمد حياة السندي والشيخ عبدالله بن إبراهيم ابن سيف، ثم عاد إلى بلاده. ومن هناك واصل رحلاته العلمية حيث اتجه إلى البصرة فأخذ العلم هناك على يد الشيخ محمد المجموعي ودرس علوم اللغة والنحو والحديث والفقه. وفي طريق عودته إلى بلاده توقف في الأحساء حيث درس على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الأحسائي.(٣)

ولا شك أن هذه الرحلات بحد ذاتها وما استفاده الشيخ محمد بن عبدالوهاب خلالها من العلوم الإسلامية والعربية، والتفافه حول عدد من العلماء ومجالستهم، بالإضافة إلى تعليمه الأول قد فتحت

---

(١) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٢٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٦.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٢٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٥-٣٧؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٨-١٩؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٣١-٣٦.

ذهنه ووسعت مداركه عن واقع المجتمع الإسلامي عموماً ومجتمع بلاد نجد خصوصاً. كما أن تلك الرحلات زادت فكره المعرفي حيث أخذ نصيبه من أصول الإسلام وفروع الشريعة. ومن الأمور المهمة التي قام بها الشيخ في هذه الفترة، والتي تنم عن رغبة أكيدة في الإصلاح وتحرير المجتمع من الأقوال والأعمال التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية، أنه خلال إقامته في البصرة بدأ ينكر ما يشاهده مما يخالف العقيدة الإسلامية من البدع والشركيات والخرافات وغيرها، وكان يناقش ويحاور من يقوم بهذه الأعمال أو يؤيدها.

حريملاء تشهد انطلاق الدعوة:

اختلفت المصادر التاريخية في تاريخ عودة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من رحلاته العلمية، لكن يبدو أن هناك شبه اتفاق على أن الشيخ عاد إلى العيينة بعد أن ارتحل والده منها عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م نتيجة خلاف بينه وبين حاكم العيينة الجديد محمد بن حمد بن معمر حيث عزله عن القضاء. وعندما عاد الشيخ إلى العيينة التحق بوالده في حريملاء.[١] وبعد أن استقر الشيخ في حريملاء حاول أن يجهر بدعوته لكن والده لم يوافقه على ذلك.[٢] وعند ذلك انصرف الشيخ إلى متابعة العلم وتدريس بعض العلوم الشرعية مثل الفقه والتفسير والحديث. وخلال هذه الفترة ألف كتاب التوحيد المشهور الذي انتشر في أنحاء المنطقة وغيرها.[٣] وبعد وفاة والده عام ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م أعلن الشيخ دعوته في حريملاء. وبعد تجربة استمرت حوالي سنة رأى أن بلدة حريملاء غير مناسبة لنشر الدعوة، ويبدأ يخطط للانتقال

---

(١) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص١٠٠-١٠١؛ ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٢٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٧؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص٢١؛ وقد ذكر العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٤٣-٤٥، الروايات التي تحدثت عن تاريخ عودة الشيخ إلى العيينة.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٧. وقد ناقش العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص٤٥-٤٦، هذا الموضوع بتفاصيل أوفى.

(٣) للمزيد من المعلومات عن ظروف انتقال الشيخ من حريملاء، راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٢٨، ٣٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٧-٣٨؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص٤٥-٤٦؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص٤٤.

إلى العيينة. وقد ذكر بعض المؤرخين أسباباً لهذا التغيير في استراتيجية الدعوة، منها أن حريملاء بلدة صغيرة غير مشهورة في ذلك الوقت، إضافة إلى انقسام أهلها على أنفسهم، والخلاف على الحكم فيها. ونتيجة لذلك تخلخل الأمن فيها مما عرض حياة الشيخ للخطر، خاصة من المعارضين له، أو من أولئك الذين كان الشيخ يزجرهم لتماديهم في الفسق والتهاون بأمور الشريعة.[١] يضاف إلى ذلك أن الشيخ كان يفكر في الانتقال إلى بلد تكون فرصة نجاحه فيها كبيرة. ولا شك أن الشيخ أصبح في هذه الفترة شخصية علمية مرموقة حيث ذاع صيته ليس في حريملاء فقط أو البلدان المجاورة مثل العيينة والرياض ومنفوحة، بل أصبح معروفاً في كل بلاد منطقة الرياض، وبدأ بعض طلاب العلم والمؤيدون له يفدون على حريملاء للالتقاء به والاستفادة من علمه وأسلوبه في الدعوة.

العيينة تعجز عن حماية الدعوة:

ومع أهمية هذه الأسباب التي دعت الشيخ إلى ترك حريملاء فإن هناك أسباباً قوية دعته للانتقال إلى العيينة، منها أن هذه البلدة كانت مرتع صباه عاش فيها طفولته وتفتحت فيها عيناه على العلم ثم تركها بعد ذلك للاستزادة من العلم الشرعي، ثم بسبب انتقال والده منها كما أشرنا. إلا أن السبب الرئيس لانتقاله إلى العيينة هو ما عرفه من تأييد أميرها عثمان بن معمر لدعوته. وعندما وصل الشيخ إلى العيينة رحب به أميرها وأكرمه. ومن جانبه شرح الشيخ للأمير أهداف الدعوة الإصلاحية وما فيها من خير عميم في الدنيا والآخرة. وقد توطدت علاقة الرجلين بالمصاهرة حيث تزوج الشيخ عمة أمير العيينة عثمان بن معمر، الجوهرة بنت عبدالله بن معمر.[٢] وفي مجال الدعوة حرص ابن معمر على تأييدها بكل ما يستطيع من جهود مادية ومعنوية، نظرية وعملية. ففي الجانب النظري للدعوة رغب ابن معمر أتباعه من الخاصة والعامة بتأييد الدعوة وصاحبها واتباع ما يدعو إليه من تطبيق للشريعة والالتزام بحدودها. أما الجانب العملي فقد تمثل في مشاركة أمير العيينة وأتباعه الشيخ في تطبيق الأحكام الشرعية

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٢٨-٢٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٨؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص٢٢.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٨.

وإزالة ما ينافي العقيدة مثل : [١]

١- هدم القباب والمشاهد المقامة على قبور وأضرحة بعض الصحابة والأولياء، مثل ضريح زيد بن الخطاب رضي الله عنه حيث رافقه في هذه المهمة ابن معمر حيث بدأ الشيخ بهدمه بنفسه ثم تبعه أصحابه.

٢- قطع الأشجار التي يتبرك بها الناس ويعظمونها مثل شجرة الذئب في العيينة التي قطعها الشيخ بنفسه، وشجرة قريوة في الدرعية التي قطعها ثنيان ومشاري ابنا سعود وأحمد بن سويلم.

٣- رجم الزانية المحصنة التي أقرت بالزنا وتوافرت فيها شروطه.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومما يجدر ذكره هنا أن الدعوة الإصلاحية قد انتشرت خلال هذه الفترة في داخل نجد وخارجها حيث وصلت إلى مكة المكرمة، بل إن أخبارها وصلت إلى البصرة.[٢]

ورغم الجو المناسب للشيخ لنشر دعوته في العيينة؛ حيث الأخوة الصادقة والتأييد المطلق من قبل أمير العيينة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية والمتمثل في التطبيق النظري والعملي للدعوة كما رأينا، إلا أن إرادة الله قضت بأن لا تستمر العيينة في هذا الموقف المؤيد للدعوة. ولا شك أن هناك أسباباً متعددة لهذا التغير في موقف العيينة منها انقسام الناس حولها، وتأثير تطبيق مبادئ الدعوة في نفوس الجهلة والمغرضين. ونتيجة لذلك نشأ طرف معارض، زاد قوة بظهور فئة من طلبة العلم تعارض الدعوة أصلاً أو تطبيقاً. ويبدو أن موقف هؤلاء كان له صدى لدى عامة الناس ولدى العلماء خارج بلاد نجد الذين كانت مواقفهم عاملاً مشجعاً لمعارضي الداخل. لكن على الرغم من ذلك فإن جهود هؤلاء وأولئك لم تنجح في حجب نور العقيدة الذي بدأ يشع من جديد في نفوس المؤيدين للشيخ

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن التطبيق النظري والعملي من جانب أمير العيينة لما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٠-٣١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٨-٣٩؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٣-٢٤؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص٤٥؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص٤٦-٤٧.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص٥٤.

من الحاضرة والبادية على حد سواء، رغم ما بذله أولئك المعارضون من جهود اعتمدت على المناقشات والمناظرات التي كانت تنتهي دائماً بتفوق رأي الشيخ وأتباعه. ومن طبيعة النفس البشرية عدم الاستسلام بسهولة، وهو ما يفسر لجوء بعض العلماء المعارضين لدعوة الشيخ إلى استخدام سلاح آخر لمنع نشر هذه الدعوة "ومن هنا اتصلوا بالأمراء وقالوا لهم إن واجب الحكام المسلمين أن يحافظوا على عقائد الناس. . . . "[١] وهذا الكلام «كلمة باطل» حيث إن واجب الأمراء هو أن يحافظوا على عقائد الناس، لكن بشرط أن تكون تلك العقائد موافقة للصواب كما جاء به الرسول ﷺ.

ومن خلال الظروف التي واجهتها الدعوة في هذه الفترة، ومنها مواقف المعارضين، يمكن القول إنه مع أهمية هذه العوامل إلا أن المؤرخين أجمعوا على أن السبب المهم والقوي والحاسم في مسألة انتقال الشيخ من العيينة هو تدخل زعيم بني خالد في الضغط على حاكم العيينة ومنعه من تأييد الدعوة وصاحبها، بل والإلحاح عليه لإبعاد الشيخ. ولا شك أن موقف رئيس بني خالد مبني على إلحاح وتأييد العلماء والعامة لدوافع متباينة. لكن ما هي الدوافع والأهداف والوسائل التي حدت بزعيم بني خالد إلى اتخاذ مثل هذا الموقف من الدعوة وصاحبها؟. كان زعيم بني خالد وحاكم الأحساء في هذه الفترة، سليمان آل محمد[٢]، تهمه مصالحه السياسية والاقتصادية وهو العامل الذي استغله المعارضون للدعوة. وباعتباره أكبر حاكم في منطقة الأحساء بحدودها التاريخية التي تشمل بالإضافة إلى الأحساء، القطيف وساحل قطر والزبارة، فقد كان له سلطة على أمير العيينة عثمان بن معمر. ومن هذا الجانب خوّفه هؤلاء المعارضون بفقد هذه الهيمنة إذا قدر لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن تنجح، كما حذروه من خطورة تعاون ابن معمر مع الشيخ على مستقبل علاقته ببلاد نجد وهيمنته السياسية والاقتصادية على العيينة بالذات. ولما كان حاكم الأحساء تسيره أهواؤه السياسية والاقتصادية ورغبته في السيطرة فلم يحتج إلى طول تفكير في ما ستسفر عنه نتائج تعاون الشيخ مع ابن معمر.

وفي هذه الظروف الدقيقة من مراحل الدعوة تتكشف مواقف الأطراف الثلاثة حولها. فقد ذكر

---

(١) المرجع السابق، ص٥٤.

(٢) ورد اسمه هكذا في كتاب ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٣، وكذلك في لمع الشهاب، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ٣٢. أما ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩، فيذكر اسمه سليمان بن محمد. وفي المراجع المتأخرة ذكر اسمه سليمان بن محمد آل حميد، أو آل غرير، أو آل عريعر. ولرسم صورة واحدة لاسمه في هذا البحث سنركز على الاسم المتداول وهو سليمان بن محمد آل غرير.

بعض المؤرخين أن حاكم الأحساء، زعيم بني خالد، طلب من أمير العيينة التخلص من الشيخ. لكن من الواضح أن هذا الطلب كان صريحاً وواضحاً ومكتوباً، كما يذكره ابن غنام وابن بشر، يأمره بقتل الشيخ أو إخراجه من العيينة، وهذا ما يؤكده موقف ابن معمر في محاورته مع الشيخ.[١] وتعليلاً لهذا الطلب الآمر ذكر المؤرخون جملة أسباب جعلت موقف ابن معمر ضعيفاً أمام حاكم الأحساء، رغم ما ذكر من أن العيينة كانت من أقوى البلاد، وأن أميرها كان لديه قوة وكان له أتباع كثيرون. ومن هذه الأسباب: المصالح الاقتصادية التي تعتمد فيها بلاد منطقة الرياض خاصة، وبلاد نجد بعامة على بلاد الأحساء بحدودها التاريخية، ذلك أن الأحساء، بموقعها وموانيها كانت الرئة التي تتنفس من خلالها بلاد نجد، وكانت أسهل الطرق إلى العالم الخارجي. ويوازي ذلك لدى ابن معمر، بل يفوقه، المصالح الشخصية له في بلاد الأحساء. فقد ذكر المؤرخون من هذه المصالح الاقتصادية أن حاكم الأحساء كان يدفع لابن معمر إعانة سنوية، أو كما يصفها ابن بشر "خراجاً كثيراً جداً قيل أنه اثني عشر ماية أحمر وما يتبعها من كسوة وطعام".[٢] كما أن ابن معمر كان يملك مزرعة في الأحساء "يبلغ محصولها كل عام ستين ألف ريال ذهب".[٣] ومن هذا المنطلق فإن حاكم الأحساء استغل هذه المصالح وخوّف ابن معمر بأنه سيحرم العيينة وأميرها من هذه المصالح إذا استمر تأييده للشيخ.

أما موقف ابن معمر فهو الموقف الأصعب وهو يمثل موقف المتردد. فمن جهة، كان يعلم صدق الشيخ وما ينادي به، وأن من مصلحته الدينية والدنيوية الوقوف بجانب الشيخ ومساعدته، لكنه من جانب آخر كان يخشى سطوة حاكم الأحساء، مثلما كان يخشى تضرر الدخل الاقتصادي له ولإمارته. وقد صور ابن بشر حالة التردد لدى ابن معمر بأنه عندما جاءه كتاب حاكم الأحساء خاف وذكر للشيخ ما طلبه

---

(١) انظر ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٠. وقد ذكر لمع الشهاب مؤلف مجهول، (د. ت.)، مرجع سابق، ص٣١، أن حاكم الأحساء طلب من ابن معمر أن يخرج الشيخ إلى آخر جزيرة العرب، أو يرسله إليه في الأحساء.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٠. والأحمر: عملة من الذهب بمنزلة الريال كان يتعامل بها أهل نجد وغيرهم في ذلك الوقت. وقد ارتفع سعره في مكة المكرمة في عام ١٠٩٥هـ حتى بلغ ثمانية حروف وربع وارتفت بسببه الأسعار، حتى طلب الأهالي من الشريف أن ينزل سعره إلى أربعة أحرف. انظر: العصامي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك، (ت١١١١هـ. ط ١٣٧٩هـ.)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، ج٤، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ص ص٥٤٥-٥٤٦.

(٣) مؤلف مجهول، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص٣١-٣٢.

منه زعيم بني خالد، لكن الشيخ وعظه بأن الخوف لا يكون من المخلوق بل يجدر أن يكون من الخالق، وذكّره بأن ما يدعو إليه هو دين الله ورسوله ولا بد من الصبر حتى تكون له الغلبة، "فاستحيا عثمان وأعرض عنه". لكن بطانة السوء لم يهدأ لها بال حيث سارعت تخوف أمير العيينة من النتائج الوخيمة والعقاب الذي سيتعرض له من حاكم الأحساء. وهنا عاد ابن معمر إلى الشيخ ثانية وحدثه بصراحة أكثر، وقال له: "إن سليمان أمرنا بقتلك ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره، لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك، فشأنك ونفسك، وخل لنا بلادنا" وللتدليل على موقفه المؤيد للشيخ الخائف من حاكم الأحساء أمر خيالة من عنده بمرافقة الشيخ إلى حيث يريد.[١] لكنه لم يشأ قطع خط الرجعة على نفسه، فوجد حلاً اعتقد أنه يرضي حاكم الأحساء، حيث طلب من الشيخ أن يذهب إلى أي بلد يشاء ويقيم فيها على أمل أن يعود إلى العيينة بعد أن تهدأ الأمور.[٢]

أما موقف الشيخ فهو موقف المؤمن بالله الصابر على قضائه الموقن بنصره. وحيث إنه قد بذل جهده في إقناع ابن معمر في الاستمرار في تأييد الدعوة لتتحقق له الغلبة والعزة في الدنيا والآخرة لكن بدون جدوى فإنه معذور في ترك بلدته التي أحبها وأحبته، إلا أنه لم يصرّ على البقاء في العيينة، ليس حرصاً على حياته بل حرصاً على الدعوة الإصلاحية ونجاحها، ولهذا ذهب إلى أقرب البلاد إليها وهي الدرعية لأسباب متعددة سنذكرها لاحقاً.

وقد ذكر ابن بشر أنه في طريقه كان لا يفتر لسانه من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من يحث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.[٣] وقد وصل الشيخ إلى الدرعية، على أرجح الأقوال، في عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م كما سيأتي تفصيله. وفي الدرعية بدأ فصل جديد من فصول الدعوة الإصلاحية، لكنه فصل طويل، له نتائج مهمة ليس في الدرعية وحدها، ولا في منطقة الرياض فحسب، بل في عامة بلاد نجد ثم في الجزيرة العربية وخارجها، كما سيتضح لاحقاً.

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٠؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص٢٥.

(٢) مؤلف مجهول، (د. ت.)، مرجع سابق، ص٣٢. وفي هذا المجال يذكر لمع الشهاب أن ابن معمر طلب من الشيخ أن يترك العيينة فترة سنة أو سنتين حتى تهدأ الأمور ثم يرجع إلى العيينة. ويبدو أن هذا التحديد اجتهاد من صاحب كتاب لمع الشهاب لأن عمدتا مؤرخي نجد، ابن غنام وابن بشر، لم يذكرا ذلك والله أعلم.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٠.

الدرعية ترحب بالشيخ ودعوته:

رغم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب حاول أن تكون حريملاء أو العيينة منطلقاً لدعوته كما أوضحنا في المباحث السابقة، إلا أن الله قدر أن تأخذ الدرعية هذا الشرف الكبير. والواقع أن المتتبع للوضع السياسي والديني في الجزيرة العربية عامة وبلاد نجد بصفة خاصة خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري لا يفاجأ باختيار الشيخ محمد بن عبدالوهاب الدرعية ملاذاً أخيراً لنشر دعوته. وإذا كان الشيخ لم يجد في حريملاء الجو الملائم لبدء دعوته بسبب ظروف الحكم فيها واختلاف حكامها وتفرق أهلها، وأنه لم يستطع البقاء في العيينة، رغم تأييد أميرها عثمان بن معمر واقتناعه بصدق دعوته، بسبب الضغوط السياسية التي أملاها عليه حاكم الأحساء زعيم بني خالد، سليمان بن محمد آل غرير، فإن الشيخ وجد في الدرعية كل أسباب النجاح له ولدعوته. كانت الظروف الدينية والسياسية والاجتماعية كلها عوامل مشجعة لانطلاق الدعوة من الدرعية. فقد كان الأمير محمد بن سعود يؤمن بالدعوة، ويعتقد أن ما جاءت به هو الحق. أما الاستقلال السياسي لأمير الدرعية، محمد بن سعود، الذي تولى إمارة الدرعية عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م، فهو أمر أجمع عليه المؤرخون، حيث لم يكن لأي قوة داخلية أو خارجية نفوذ عليه.[١] ويدعم هذا الاستقلال السياسي قوة اقتصادية نسبة إلى القوة الاقتصادية للعيينة على سبيل المثال، حيث لم تكن الدرعية أو أميرها مرتبطين بمصالح اقتصادية لدى حاكم الأحساء. ليس هذا فحسب بل إن هذا الاستقلال السياسي صاحبه ازدياد في القوة العسكرية. فقد ثبت أن الدرعية تمكنت من صد هجوم سعدون بن محمد بن غرير، زعيم بني خالد في الأحساء، عليها عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م، وقتلوا من جيشه عدداً كبيراً.[٢] ولاعتقاد أمير الدرعية آنذاك، زيد بن مرخان، بأن حاكم العيينة، المنافس المحلي للدرعية، كان ضالعاً في الهجوم السابق، فكر في الهجوم على العيينة عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م عقاباً لأميرها على ممالأته عدوه، ولكن زيداً قتل غدراً على يد أمير العيينة محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الملقب خرفاش. وقد تنبه محمد بن سعود، وكان ضمن حملة زيد، وتحصن في مكان آمن ثم رجع إلى الدرعية وأصبح منذ ذلك التاريخ أميراً على الدرعية.[٣] ومما يدل على قوة الدرعية في ذلك الوقت أن دهام بن دواس أمير الرياض استعان بها لحل مشكلاته

---

(١) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبد الله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ص ٣٦٨-٣٦٩.

الداخلية.[١] ومن الناحية الاجتماعية فإن انحدار محمد بن سعود من سلالة عريقة أكسبه ولاء أتباعه والتفافهم حوله في بوتقة اجتماعية متماسكة. أما العامل الديني فقد كان الرباط المتين الذي جمع بين الشيخ والأمير قبل أن يلتقيا. ومنذ أن سمع الأمير محمد بن سعود عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما يدعو إليه منذ قيامه في حريملاء ثم انتقاله إلى العيينة تأكد له صدق الشيخ وما يدعو إليه، وأدرك ضرورة الدعوة الإصلاحية لتنقية الدين مما شابه من الشرك والبدع والخرافات، وضرورة دعم هذه الدعوة من مبدأ «من يزع السلطان أكثر ممن يزع القرآن».[٢] كانت بوادر هذا التأييد عندما شارك أخوا الأمير محمد ابن سعود، مشاري وثنيان، في التطبيق العملي للدعوة في العيينة كما أسلفنا، وهو بلا شك منتهى الإيمان بصحة ما تدعو إليه.

ومن جهة أخرى لقيت الدعوة قبولاً وتحمساً من كبار أهل الدرعية ومنهم عبدالعزيز ابن أمير الدرعية الذي سبق أن طلب من الشيخ وهو في العيينة تفسيراً لسورة الفاتحة فأعده وأرسله إليه.[٣] كما كان من المؤيدين للشيخ في الدرعية آل سويلم الذين كانوا أول من استقبل الشيخ ورحب به في بلدتهم الدرعية.[٤] إن هذه المكانة السياسية لآل سعود والإرث الاجتماعي وعراقة النسب جعل لهم مكانة مرموقة في منطقة الرياض على المستوى الديني والسياسي حيث تعززت بنصرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عندما تم الاتفاق بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب واجتمعا في تكامل فريد تمخض عن ولادة أول دولة حديثة في الجزيرة العربية تقوم على أساس الدين الإسلامي.

بيعة الدرعية وقيام الدولة السعودية:

من العرض السابق يتضح لنا أن انتقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية لم يكن بمحض الصدفة وإنما حصل بعد استقراء لظروف الدعوة الإصلاحية كدعوة جديدة على المجتمع النجدي من جهة، واستقراء لعوامل النجاح الكلي التي لم تتوفر في كل من حريملاء أو العيينة من جهة أخرى. فبعد

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٩.

(٢) يزعه: أي يكفه، ومعنى الأثر أن من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان أكثر ممن يكفه مخافة القرآن والله تعالى. انظر: ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات الجزري، (د.ت)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتب الإسلامية، جـ٥، ص ١٨٠.

(٣) سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص٢٧.

(٤) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٣.

النجاح النوعي الذي تحقق للدعوة في العيينة، سواء على مستوى القيادة أم على المستوى الشعبي، كان من الطبيعي أن يفكر الشيخ ملياً قبل أن ينتقل بدعوته إلى بلد آخر. فإذا كان اختياره بعد هذا التفكير قد وقع على الدرعية فإن ذلك جاء بعد دراسة الموضوع من مختلف جوانبه.[١] وباختصار يمكن القول أن الشيخ ذهب إلى الدرعية لأنها تملك كل عوامل النجاح لدعوته.

وفي الحقيقة فإن المؤرخين المعاصرين لقيام الدولة السعودية الأولى، أو من جاء بعدهم، لم يذكروا تاريخاً دقيقاً لوصول الشيخ إلى الدرعية. ومن مجمل رواياتهم يترجح لدي أن الشيخ وصل إلى الدرعية في أواخر عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م.[٢] وعند وصوله كان من الطبيعي أن يقصد بيت آل سويلم لأنهم من المؤيدين لدعوته منذ كان في العيينة من جهة، ولأنهم كانوا من أعيان ووجهاء الدرعية من جهة أخرى.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل كان انتقال الشيخ إلى الدرعية بدعوة من الأمير محمد بن سعود، أم أنه انتقل إليها ببادرة شخصية لاعتقاده بتوفر عوامل النجاح لدعوته فيها؟. ويترجح لدينا أنه على الرغم من أن الشيخ كان يؤمّل نجاح دعوته في الدرعية بتوافر العوامل التي لم تتحقق في حريملاء أو العيينة، إلا أن ذلك كان مرهوناً بدعم أميرها محمد بن سعود شخصياً وهو ما سعى إليه الشيخ بطريق

---

(١) التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، (١٤١٨هـ)، **الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ص٤٦.

(٢) اختلفت الروايات حول السنة التي وصل فيها الشيخ إلى الدرعية. يذكر ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤، أن الشيخ خرج من العيينة إلى الدرعية سنة ١١٥٧هـ. أما ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٣، فقد أورد خبر وصول الشيخ إلى الدرعية ضمن حوادث سنة ١١٥٧هـ، ولكن في كتابه المخطوط ورد أن انتقال الشيخ إلى الدرعية حدث عام ١١٥٨هـ. أما الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص١٠٦، فيذكر أن ذلك حدث في بداية سنة ١١٥٨هـ أو بداية سنة ١١٥٩هـ. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ تقريبا)، **(مخطوط) كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، نقله عن الأصل الخطي نور الدين شريبة، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، صورة مخطوطة في دارة الملك عبدالعزيز، ص ١٠٨، أن ارتحال الشيخ من العيينة إلى الدرعية كان عام ١١٥٧هـ. انظر مزيداً من التحليل لهذا الموضوع في تعليق الشبل على الفاخري، الصفحة نفسها، هامش ١؛ وكذلك تحليل العثيمين، عبدالله الصالح، (د. ت.)، مرجع سابق، ص٦٠. وتوفيقاً بين هذه الروايات يمكن القول أن الشيخ وصل إلى الدرعية أواخر عام ١١٥٧هـ ثم تم الاتفاق بينه وبين الأمير محمد بن سعود في بداية عام ١١٥٨هـ والله أعلم.

غير مباشر قبل انتقاله إلى الدرعية. لقد كان لتلاميذ الشيخ ومؤيديه ومنهم أخوا الأمير، ووجهاء آل سويلم دور في تهيئة المناخ لتقبل الأمير محمد بن سعود إقامة الشيخ في بلده. ويستنتج من الظروف السياسية وعلاقة بني خالد مع الدرعية التي كان طابعها العام الشد والجذب؛ حتى بلغ ذروته في الحملة العسكرية التي أشرنا إليها سابقاً، أن رد فعل الأمير محمد بن سعود كان ترحيبه القوي بالشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي لقيت دعوته معارضة في العيينة بسبب موقف بني خالد منها.

ومن هنا فإن من الأسباب التي جعلت الأمير محمد بن سعود يستقبل الشيخ هو كون عريعر بن دجين طرفاً في إخراجه من العيينة[١] وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أبعد من ذلك بتأكيدهم أن الشيخ انتقل إلى الدرعية بدعوة من الأمير محمد بن سعود. فقد ذكر العثيمين أنه عثر على أوراق بخط المؤرخ النجدي ابن لعبون تؤكد حصول مثل هذه الدعوة.[٢] ويؤكد العجلاني هذه الدعوة مستقرئاً الأحداث ومعتمداً على بعض الروايات.[٣] أما مؤرخا نجد ابن غنام وابن بشر فقد ذكرا خبر وصول الشيخ إلى الدرعية ونزوله عند آل سويلم.[٤] لكن يفهم من الروايتين أن ذلك تم بدون علم محمد بن سعود بدليل قول ابن غنام بعد إيراده خبر وصول الشيخ إلى الدرعية " فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود، قام من فوره مسرعاً إليه ومعه أخواه: ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم". أما ابن بشر فيقول "فلما وصل الشيخ إلى بلدة الدرعية نزل عند عبدالله بن عبدالرحمن بن سويلم وابن عمه حمد بن سويلم، فلما دخل على ابن سويلم ضاقت عليه داره خوفاً على نفسه من محمد بن سعود فوعظه الشيخ وسكّن جأشه وقال: سيجعل الله لنا ولكم فرجاً ومخرجاً"[٥] ويبدو أن الشيخ لم يرد إحراج عبدالله بن

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٣؛ ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٢هـ)، **الدرعية**، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ص١١٠.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٤.

(٣) العجلاني، منير، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص٩٠-٩١.

(٤) يذكر ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٣، أن الشيخ نزل في الليلة الأولى عند عبدالله بن سويلم فأقام عنده ذلك اليوم ثم انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم. أما ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤١، فيذكر أن الشيخ نزل عند عبدالله بن عبدالرحمن بن سويلم وابن عمه حمد بن سويلم.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤١.

وأولاده الأمور السياسية من الحكم والإدارة، ويختص الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده بالشؤون الدينية والعلمية، أو كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية المختصرة أن يبقى الحكم بيد محمد بن سعود بينما تؤول القيادة الدينية إلى محمد بن عبدالوهاب.[١] ومع استبعاد أن يكون هناك اتفاق حول هذا الأمر لكن الواقع أن هذا حدث كتطور طبيعي لتكوين الدولة وانشغالها بأمور دينية وسياسية وعسكرية، فأصبح الشيخ يهتم بالتركيز على الفتوى والتعليم والإرشاد وترك الأمور الإدارية في الدولة للإمام محمد بن سعود. وهكذا يمكن أن نستنتج من طبيعة العلاقة بين الرجلين أنهما يشتركان في أهداف سامية عملاً على تحقيقها في الواقع وهي: عقد النية والعزم على تكثيف الدعوة إلى دين الله ودعم سلطانه في قلوب الناس وعقولهم، وتجديد منهج الناس في العمل بالكتاب والسنة. وكذلك إحياء التلازم المنهجي والعملي بين الشريعة الإسلامية وسلطان الدولة القائم على أساس الشريعة، وهو الأساس الذي قامت عليه الدعوة الإسلامية الأولى، وأخيراً العمل المشترك لتحقيق تلك الأهداف على أرض الواقع متمثلاً في الجهاد لإعلاء كلمة الله.[٢]

ومن جانب آخر أدرك عثمان بن معمر بعد سنتين من انتقال الشيخ من العيينة إلى الدرعية أنه الخاسر الوحيد لهذا الفضل العظيم، وأن هذه الخسارة من الصعب تعويضها، خاصة بعد أن رأى التأييد الكامل للشيخ من قبل أمير الدرعية محمد بن سعود، والمبايعة بينهما على دين الله ورسوله. كما بدأ يسمع عن الدرعية وأنها أصبحت مآلاً للمتعلمين، والمؤيدين للشيخ، ولمن أوذي في بلده. والأهم من ذلك أن ابن معمر بدأ يسمع عن انتقال غير طبيعي من العيينة نفسها إلى الدرعية سواء من قبل مؤيدي الشيخ وتلاميذه، أم من قبل بعض المخالفين لأمير العيينة. يقول ابن غنام "وفي خلال هذه المدة أقبل إلى الدرعية للهجرة من أحسن الله قصدهم: منهم عبد الله بن محسن وإخوته زيد وسلطان المعامرة وعبدالله بن غنام وأخوه موسى".[٣] في هذا الوقت لم يسع ابن معمر منزله فقام من فوره مع جماعة من وجهاء العيينة بزيارة للشيخ في الدرعية وعرض عليه الرجوع معه ونصرته، لكن الشيخ اعتذر وقال إن الأمر بيد الأمير محمد بن سعود، بناء على الاتفاق بينهما. ولم ييأس ابن معمر بل ذهب إلى الأمير

---

(1) Gibb, H.A.R.; Kramers, J.H, (1934), **Shorter Encyclopedia of Islam**, (Wahhabiya). Leiden, p.618.

وراجع كذلك: مؤلف مجهول، (د.ت.)، مرجع سابق، ص٢٦: وانظر تحليلاً لهذا الموضوع في: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٥.

(٢) التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، (١٤١٨هـ)، مرجع سابق، ص٩.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤.

محمد بن سعود يطلب منه السماح للشيخ بالانتقال معه إلى العيينة فاعتذر، وحق له أن يعتذر. وبذلك رجع ابن معمر إلى بلاده نادماً على إخراجه للشيخ.[١]

وعلى الرغم من بروز علامات على إمكانية الازدهار الاقتصادي للدرعية المتمثل في ازدياد الهجرة إليها لاستقرارها السياسي والأمني ولكثرة الوافدين إلى الشيخ، إلا أنه لم يحصل تغير جذري في الحياة الاقتصادية للسكان يتناسب مع حاجة سكان الدرعية في عهد الدولة الوليدة. كما أن دخل الأمير محمد ابن سعود لم يطرأ عليه تغير ملحوظ رغم ازدياد مسؤولياته تجاه بلده ولقاء تبعات إيوائه للشيخ ودعوته، ولعل في ذلك امتحان من الله لمدى صبر وصدق المتعاهدين وتحملهما ما تتطلبه هذه المرحلة الجديدة من تبعات ونفقات لم يكن من اليسير تدبيرها.

ومع مضي الوقت بدأت تنمو الدرعية حتى أصبحت أهم مدينة في منطقة الرياض التي انطلقت منها الدعوة الإصلاحية، وولدت فيها الدولة السعودية الأولى. كما علت مكانة الدرعية من الناحية السياسية بعد أن أصبحت قاعدة للدولة السعودية، وازدهرت أحوالها الاقتصادية وذلك ببركة تمسكها بالدين ونصرة الدعوة الإصلاحية. وسرعان ما تحقق وعد الشيخ للأمير بأن نصرته لهذا الدين ستفتح عليه أبواب الرزق.[٢]

وفي المجال السياسي ازدادت قوة الدولة وأصبحت مرهوبة الجانب، كما ازدادت رقعتها الجغرافية، ولم يمض وقت طويل حتى انضوت معظم أقطار شبه الجزيرة العربية تحت حكم الدولة السعودية الأولى منطلقة من منطقة الرياض وهو ما سنفصله في الصفحات التالية.[٣]

مرحلة تكوين الدولة:

لقد ارتبطت المرحلة الأولى من تكوين الدولة بعد اتفاق الدرعية بالاهتمام بتأصيل الدعوة الإصلاحية، والعمل على نشرها، وتعريف الناس بها، ثم جهاد المناوئين لها. وقد تبنى هذه المهمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بنفسه وبمساعدة المؤيدين له وعلى رأسهم الأمير محمد بن سعود وأبناؤه.

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٣.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٤.

(٣) سيرد تفصيلات عن التنظيمات الإدارية والحضارية في منطقة الرياض خلال عهد الدولة السعودية الأولى وذلك في المبحث الرابع من هذا الفصل.

ولا شك أن عهد الإمام محمد بن سعود يعتبر أهم الفترات في تاريخ الدولة السعودية وأكثرها حساسية لأنه عهد التأسيس وتكوين الدولة بجميع متطلباتها. ومن خلال الأحداث التي مرت بها البلاد، نجد أن مرحلة تكوين الدولة مرت بمرحلتين متزامنتين هما الدعوة السلمية ومرحلة الجهاد.

الدعوة السلمية:

امتثالاً لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١] بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب تبليغ الدعوة إلى البلاد والمناطق التي لم تصلها، أو وصلتها بمفهوم مغاير لطبيعتها الصحيحة نتيجة للحملة المغرضة التي أشاعها أعداء الدعوة. ولا شك أن ضيافة الأمير محمد بن سعود للشيخ وتمكينه من العمل تحت مظلة الدولة التي نشأت بالاتفاق الذي تم بينهما فيما بعد، كان له تأثير إيجابي على نجاح الدعوة في مستقبل أيامها.

ونتيجة لهذه التطورات أصبحت الدرعية المركز الرئيس للدولة والدعوة وبدأت تمارس نشاطها الديني والسياسي والاجتماعي. ففي الجانب الديني انطلق الشيخ من مبدأ الأقربون أولى بالمعروف حيث بدأ الدعوة السلمية في الدرعية التي كان أغلب أهلها، كغيرهم من أبناء البلاد النجدية وبلاد العالم الإسلامي، يظللهم الجهل والبعد عن الدين وقد وقع أكثرهم في "الشرك الأكبر والأصغر والتهاون بالصلوات والزكاة ورفض شعائر الإسلام"[٢] وهذا الانحراف العقدي يحتاج إلى علاج طويل ومتدرج. ومن هنا أخذ الشيخ يتخولهم بالتعليم والموعظة الحسنة، ويبين لهم أصول الإسلام وقواعد التوحيد وما يجب عليهم تجاهها من الإيمان الكامل والتصديق الجازم بكل ما ورد في القرآن الكريم وما جاء به الرسول ﷺ. وقد بدأت دعوته وأسلوبه تؤتي ثمارها، حيث ازداد عدد المنضمين إليه المؤيدين لدعوته، سواء من بلاد منطقة الرياض المجاورين للدرعية، أم من البلاد البعيدة عنها. وقد تعززت مكانة الدعوة بانضمام بعض المتنفذين في بلادهم مثل أخوة الأمير محمد بن سعود الثلاثة مشاري وثنيان وفرحان، كما أيدها وانضم إليها بعض العلماء والوجهاء ذكر ابن غنام منهم: الشيخ أحمد بن سويلم،

---

(١) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٤.

والشيخ عيسى بن قاسم، ومحمد الحزيمي، وعبدالله بن دغيثر، وسليمان الوشيقري، وحمد بن حسين، وأخوه محمد، وغيرهم.[١] وقد كان أمير العيينة عثمان بن معمر أبرز الزعماء النجديين الذين آزروا الدعوة في مراحلها الأولى في الدرعية. أما المخالفون للدولة والدعوة الذين تزعموا الحرب ضدها في بداية تكوينها فكان أشهرهم دهام بن دواس أمير الرياض على الرغم من أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود أرسلا إليه ينصحانه باتباع طريق الحق والانضمام إلى الجماعة، واجتهدا في نصحه غاية الاجتهاد.[٢] ولا شك أن هناك عوامل مختلفة كانت تدفع المؤيدين والمخالفين على نهج السبيل الذي اختاروه. فالمؤيدون آمنوا بالدعوة وأهمية ما تقوم به لتصحيح العقيدة الإسلامية، وفي الوقت نفسه عرفوا مدى قوة الدولة السعودية التي كانت نواتها إمارة الدرعية وهي من أكبر القوى السياسية في بلاد نجد، وأيقنوا أن بعدهم عن الدعوة والدولة معادلة خاسرة. أما المعارضون فقد ساءهم أن يفقدوا سلطتهم ونفوذهم السياسي خصوصاً أنه لم يكن لديهم دافع ديني يذيب الحقد والحسد والغيرة من نفوسهم فاستمروا على ضلالهم وعنادهم. ومن بين هؤلاء من نظر إلى أمر التأييد أو المخالفة نظرة شخصية ومدى استفادته من التغيرات التي حصلت في هذه البلاد.[٣]

وفي مرحلة ثانية من مراحل الدعوة في بيئتها الجديدة أراد الشيخ أن يقيم الحجة على من لم يعلم حقيقة الدعوة أو علمها محرفة فبدأ يكاتب أهل البلدان ويخاطب رؤساءها وقضاتها وعلماءها ووجهاءها. وفي الوقت نفسه كتب عدداً من الكتب والرسائل والمسائل والفتاوى التي تشرح الإسلام بمفهومه الصحيح، وتبيين عقيدة السلف الصالح في الأصول والفروع، وتفسير آيات متفرقة من كتاب الله.[٤] ومن لم تنفع معه المكاتبة، كان الشيخ يدعوه للمناظرة معه أو يرسل علماء الدعوة المتمكنين

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٨؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٨.

(٤) أفرد ابن غنام معظم الجزء الأول وشطراً من الجزء الثاني من كتابه لإيراد نصوص الرسائل والمسائل والفتاوى والتفسير. انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٠، ٩٥-٢١١، ج٢، ص ص ٢٠٢-٢٤٨. وانظر قائمة بكتب الشيخ ومؤلفاته في نفس المصدر ج١، ص ١٨٥. انظر كذلك ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٥؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، =

لمناظرة العلماء أو طلبة العلم الذين كان لهم مآخذ على أسلوب الدعوة. وبهذه الأساليب اقتنع بالدعوة واتبع الحق من أراد الله به خيراً، أما من كان على بصره غشاوة فقد استمر على موقفه من الدعوة وصاحبها، بل تمادى بعضهم في الجهل واتخذوا الشيخ سخرياً واستهزؤوا به ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة". (١)

الجهاد لإعلاء كلمة الله:

بعد أن قامت الحجة واستبان الأمر، وانكشف المخالفون الذين وقفوا ضد سير الدعوة الإصلاحية الهادف إلى تنقية المجتمع مما يفسد عليه دينه، وتمسكوا برأيهم من غير حجة واضحة، اضطرت الدولة إلى المواجهة العسكرية مع خصومها دفاعاً عن العقيدة والنفس والعرض والمال، وتهيئة المناخ الملائم لانتشار الدعوة التي أخذت على عاتقها تطهير العقيدة وإقامة شعائر الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (٢) ولا شك أن الدولة السعودية تعتبر حماية الدين والمجتمع من أولى واجباتها. وبذلك بدأت المرحلة المهمة في تاريخ الدعوة والدولة السعودية الأولى وهي مرحلة الجهاد في سبيل الله لنشر العقيدة على أصولها المقررة شرعاً. ومنذ وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية كان همه الأول الذود عن هذا الدين والدفاع عن الدعوة الإصلاحية التي نادى بها وأيدتها الدولة السعودية. يقول ابن بشر "ثم أمر الشيخ بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله"، ثم ذكر أن أول حملة للجهاد هو قيام سبع ركايب بالإغارة على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا. (٣) وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الهجوم لا يعتبر بداية الجهاد المنظم الذي قامت به الدولة السعودية الأولى لمحاربة المناوئين لها في داخل نجد وخارجها لعدة اعتبارات منها: أن ابن بشر ذكر خبر هذا الهجوم في حوادث سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م. وبالتأكيد فإن هذا الحدث حصل بعد قدوم الشيخ إلى الدرعية بعد وقت وجيز من

= مرجع سابق، ص ص٥١-٥٤. وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشكورة بنشر مصنفات ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمناسبة انعقاد أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عام ١٤٠٥هـ وهي تشمل العقيدة والتفسير والحديث والفقه ومختصر سيرة الرسول ﷺ.

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٥.

(٢) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص٥٠.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٤٥-٤٦. انظر تحليلاً لهذا الهجوم في: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٠-٩١.

اتفاقه مع الأمير محمد بن سعود وقبل أن يتبلور كيان الدولة مما يرجح عدم ارتباطه المباشر بسياسة الدولة. كما أن ابن بشر ذكر هذا الهجوم في سياق حديثه عن موقف الشيخ من المناوئين للدعوة الذين سخروا مما يدعو إليه. يضاف إلى ذلك أن الاستعداد لهذا الهجوم والكيفية التي نفذ بها وعدم ذكر الجهة المقصودة بهذا الهجوم لا تتناسب مع مكانة الدولة بوضعها الجديد الذي يحتم عليها الظهور بمظهر القوة أمام أعدائها أفراداً وزعماء. ومن الدلالات المهمة على عدم أهمية هذا الهجوم أن ابن غنام، وهو من تلاميذ الشيخ ومن المهتمين بذكر أخباره، لم يذكر خبر هذا الهجوم من قريب أو بعيد. كل هذه الدلائل تقلل من أهمية هذا الهجوم وارتباطه بسياسة الدولة، وتؤكد أن هذا الهجوم لم يكن من تخطيط أو تنفيذ الدولة. والحقيقة التي تنسجم مع هذه المعطيات ويسندها الواقع تدل على أن هذا الهجوم قام به بعض المؤيدين للدعوة بمبادرة شخصية منهم استناداً إلى فهم عام لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لجهاد كل من يقف ضد الدعوة ورجالها.

وإذا اعتبرنا الهجوم المشار إليه لا يدخل ضمن مرحلة الجهاد الذي تبنته الدولة السعودية الأولى بتأييد وإشراف من الشيخ محمد بن عبدالوهاب فإن الأحداث تؤكد أن مرحلة الجهاد بدأت خلال سنتين من قيام الدولة السعودية واستغرقت وقتاً طويلاً من عمر الدولة. وكمنطلق طبيعي بدأت الدولة في ضم بلاد نجد منطلقة من منطقة الرياض واستغرقت في ذلك وقتاً طويلاً زاد على أربعين سنة من الجهاد المضني والقتال المرير مع أغلب مدن وقرى بلاد نجد، حتى إن بعضها اضطر الدولة إلى الدخول معها في حرب أكثر من مرة بسبب نقضهم العهد.[1] وفي جميع حروبها لاقت الدولة تعنتاً ومقاومة من بعض البلاد، كما واجهت تقلباً في موالاة بعض زعماء البلدان التي سبق أن انضمت إلى الدولة. ولم تسلم الدولة خلال هذه الفترة من تدخل القوى من خارج بلاد نجد مثل بني خالد في شرق الجزيرة، والأشراف في غربها نصرة لبعض القوى المعارضة للدولة السعودية داخل بلاد نجد أو رغبة في استغلال انشغال الدولة في جهاد أعدائها للحصول على مكاسب مادية أو نفوذ، لكن جهود تلك القوى باءت بالفشل ونصر الله الحق.

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٥.

المبحث الثاني

منطقة الرياض تشهد مرحلة امتداد الدولة

لقد أدرك الإمام محمد بن سعود ضرورة التخطيط المسبق لبناء القاعدة السياسية والجغرافية للدولة والتكامل بين أجزائها مراعياً توازن القوى الداخلية والخارجية. وفي المقابل سارعت أكثر البلاد في منطقة الرياض إلى الانضمام إلى الدولة الجديدة بمجرد قيامها لقناعة زعمائها بصدق الشيخ فيما يدعو إليه ونبل مقاصده وتضحيته في سبيل الله لنشر الدعوة الإصلاحية التي نادى بها. كما سارع هؤلاء الزعماء بالاعتراف لأمير الدرعية محمد بن سعود بالمكانة التي تبوأها على سائر بلاد العارض، حيث ازدادت وتمكنت باتفاقه المعروف مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ورغم هذه المواقف الإيجابية من زعماء تلك البلاد، إلا أن وساوس الشيطان، وحب الزعامة، ومالأة الأشرار، والانخداع بوشاية المغرضين، أوقع بعض هؤلاء الزعماء في مواقف أقل حماسة في الولاء للدولة السعودية مع مرور الوقت، بل جرّ بعضهم إلى معاداتها علانية مما أعاد البلاد إلى حالة شبيهة بما كانت عليه قبل قيام الدولة السعودية، لكن الدولة، مؤيدة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أخذت على عاتقها وأد أي فكرة لبقاء الزعامات المحلية التي ترمي إلى تفكيك وحدة البلاد، والتسلط على أهلها بعد أن ارتضوا الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتأييد الدولة التي قامت لنصرة دعوة التوحيد.(١)

وعلى هذا الأساس لاقت جهود الدولة السعودية الأولى لتوحيد البلاد النجدية مواقف إيجابية من بعض البلاد النجدية التي تضمها منطقة الرياض، بحدودها القائمة حالياً، مثل بلاد الوشم وبعض بلاد سدير. وفي المقابل واجهت مواقف عدائية من بلاد أخرى تراوحت عداوة بعضها بين المعارضة السلمية، أو الانضمام إلى الدولة ثم الخروج عليها إذا حانت الفرصة، أو وجدت ضعفاً في موقف الدولة أو نصرة من أعدائها، ومن أبرز الزعماء في هذا الجانب عثمان بن معمر. وبلغت عداوة بعض البلاد الأخرى حد المجابهة العلنية للدولة بكل ما تستطيع من قوة، ومالأة أعدائها، حيث لاقت الدولة من زعماء هذه البلاد عنتاً شديداً أمثال دهام بن دواس أمير الرياض وزيد بن زامل أمير الخرج. وحيث

---

(١) للوقوف على حالة المجتمع في الجزيرة العربية، وفي بعض البلاد الإسلامية من النواحي الدينية، والسياسية، والاجتماعية، . انظر ما دون من مصادر في هامش ٣، صفحة ٩.

إن هذا الفصل يركز على الدور الذي قامت به بلاد منطقة الرياض في عهد الدولة السعودية الأولى فإن من الأهمية بمكان بيان مواقف هذه البلاد وزعمائها، وخاصة من وقف في وجه الدولة وجابهها وصولاً إلى الحديث عن تمكن الدولة من ضم جميع هذه البلاد تحت مظلتها في بوتقة واحدة دينياً وسياسياً واجتماعياً.

ضم الرياض:

تحقيقاً لسياسة الدولة السعودية الأولى في البناء والوحدة أدرك الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب مدى أهمية الرياض لتشييد ذلك التكامل. ولا شك أن ضم الرياض هو المحك الحقيقي لمدى قوة الدولة خاصة بعد أن انضمت كل من العيينة ومنفوحة طواعية لحكومة الدرعية، في الوقت نفسه الذي أظهر دهام بن دواس أمير الرياض العداء الصريح والتحرش بالبلاد المؤيدة للدولة. ولتحقيق استراتيجية الدولة في هذا المجال انطلقت أول المعارك الجهادية التي وقعت بين الدولة السعودية الأولى وأعدائها نحو الرياض ابتداء من ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م.

والواقع أن سياسة الدولة السعودية الأولى التي اعتمدت عليها في فتوحاتها كانت تنطلق من مبدأ إتاحة الفرصة للبلاد النجدية وغيرها للانضمام طواعية وبشكل سلمي للدولة قبل أن تلجأ إلى الجهاد. وبالفعل فإنه، بالإضافة إلى انضمام بلاد العيينة وحريملاء ومنفوحة إلى الدولة السعودية في وقت مبكر من عمر الدولة، انضمت في وقت لاحق بلدتي ضرما وشقراء، رغم ما حصل في بعضها من نكوص عن الولاء للدولة لأسباب خاصة بكل دولة سنوضحه في حينه.[١] وكما أوضحنا سابقاً فإن الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود أرسلا إلى دهام بن دواس لينضم إلى الدولة. وقد أكد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على مبدأ إتاحة الفرصة لانضمام البلدان النجدية أو غيرها بالسلم وعدم البدء بمهاجمة البلدان إلا من أضمر الشر للدولة أو ابتدأها به، وقد طبق الإمام محمد بن سعود وأولاده من بعده هذا المبدأ. يقول الشيخ في رسالة إلى السويدي من أهل العراق "وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكناً، ولكن قد نقاتل بعضهم

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٨٨، ٩٤-٩٥.

على سبيل المقابلة "وجزاء سيئة سيئة مثلها" وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرف"[١] وتعليقاً على هذا المبدأ السلمي الذي تبناه الشيخ محمد بن عبدالوهاب يقول ابن غنام "بقي رحمه الله وأجزل ثوابه لديه قريباً من سنتين من غير شك ولا ريب يناصح الناس، ويكشف عن الحق حجب الالتباس، ويشيد السنة النبوية بأقوى أساس" ويقول في مكان آخر "ولم يأمر رحمه الله تعالى بسفك دم ولا قتال، على أكثر أهل الأهواء والضلال حتى بدأوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير".[٢] ويقول ابن بشر في هذا المجال "ولما استوطن الشيخ الدرعية وكان أهلها في غاية الجهالة ورأى ما وقعوا فيه من الشرك الأكبر والأصغر والتهاون بالصلوات والزكاة ورفض شعائر الإسلام، جعل يتخولهم بالتعليم والموعظة الحسنة، ويفهمهم معنى لا إله إلا الله، ويشرح لهم معنى الألوهية... ثم إن الشيخ كاتب أهل البلدان بذلك رؤساءهم وقضاتهم، فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذه سخرياً واستهزأوا به ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة، ومنهم من نسبه إلى السحر، ومنهم من رماه بأشياء هو بريء منها... ثم أمر الشيخ بالجهاد".[٣] يقول الألوسي عن أسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمراحل التي اتبعها في دعوته القائمة على المبدأ السلمي حيث أخذ أولاً يبلغ دعوته "في لين ورفق بين قومه، ثم أخذ يرسل الدعوة لأمراء الحجاز والعلماء والأقطار الأخرى، حاثاً لهم على استنهاض الهمم في مكافحة البدع والرجوع إلى الإسلام الصحيح".[٤]

ولا شك أن هذه دلالات تؤكد على أن الدولة السعودية لم تبدأ بالهجوم على الرياض، بل إن أمير الرياض، دهام بن دواس، كان هو البادئ بالعدوان. وإذا كان هذا هو الحال فكيف كانت علاقة دهام بن دواس بالدرعية، وما هي دوافع عداوته وتحرشه بالدولة السعودية، وكيف كان ذلك، وما هي مراحله ونهايته؟.

---

(١) رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالرحمن بن عبدالله السويدي، عالم من أهل العراق وكان قد أرسل له كتاباً يسأله فيه عما يقول الناس فيه. انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، الرسالة الثالثة عشرة، ج١، ص ص ١٥٢-١٥٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣، ج ٢ ص٤.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٤٤-٤٥.

(٤) أمين، أحمد، (١٩٧١م)، مرجع سابق، ص ٢٠.

كانت العلاقة جيدة وطبيعية بين الرياض والدرعية قبل قيام الدولة السعودية، وكان دهام بن دواس أمير الرياض يقدر الأمير محمد بن سعود ويظهر له الصداقة والإخلاص لما للأمير عليه من فضل سابق، حيث ساعده ضد أعدائه عندما أمده بقوة مع أخيه مشاري الذي قدم له العون ولازمه عدة أشهر حتى استتب له الأمر في الرياض.[١] وبالإضافة إلى ذلك كان دهام يعلم مدى إمكاناته المادية والعسكرية، وفي الوقت نفسه كان يعرف مدى قوة الدرعية وهذا ما جعله يستنجد بها في عام ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م لحل مشكلاته الداخلية.[٢] لكن هذه العلاقة لم تستمر على هذا الحال، خاصة بعد انتقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية وقيام الدولة السعودية الأولى بناء على الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م. ومن المؤكد أن هناك عوامل متعددة اجتمعت وكانت سبباً في تغيير تلك العلاقة الطبيعية إلى علاقة عدائية من جانب دهام بن دواس، ورد فعل قوي من جانب الدولة السعودية.

وعند استقراء الأحداث نجد أن بداية الاحتكاك المسلح بين الدولة السعودية الأولى ودهام بن دواس حدث نتيجة تداعيات كثيرة صاحبت انتقال الشيخ إلى الدرعية، ومنها أن دهام عندما رأى انتصار دعوة التوحيد بمؤازرة أمير الدرعية وما نتج عنه من قيام الدولة السعودية على مبادئ التوحيد، والعزم على تصحيح العقيدة بشتى الوسائل حقد على هذه الدعوة ورفض الدعوة السلمية التي وجهها إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود بتأييد الدعوة والانضمام إلى الدولة السعودية حسداً مما أفاءه الله على الدرعية من فضل تعززت به مكانتها السياسية والدينية. ولم يكتف دهام بذلك بل عمد إلى اضطهاد من اتبع الدعوة الإصلاحية من أهل الرياض ليثنيهم عن رأيهم لكنه لم يفلح بل ازداد عدد المؤيدين للدعوة في بلاده وزاد هو حقداً وحسداً. ولم يقف الأمر عند ذلك بل استفحل أمره وعظم خطره وتزايد شره وضرره على رعيته.[٣] ولا شك أن هذا الموقف الذي اتخذه دهام نتج عن إدراكه بأن

---

(١) عن علاقة دهام بن دواس بن عبدالله بن شعلان بالأمير محمد بن سعود راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥-٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٦.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٢. وعن تفاصيل هذه المشكلات التي وقعت بين دهام ابن دواس وبين أهل بلدته السابقة منفوحة، ثم بينه وبين أهل الرياض بعد انتقاله إليها، ونصرة محمد بن سعود له، راجع: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٤٨-٥٠؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٦٥-٦٦.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٤، ٦.

نفوذه وحكمه بدأ يتلاشى بظهور قوة الدرعية التي تعزز جانبها وقوي مركزها في داخل منطقة نجد، بل وخارجها، في فترة قياسية، وأصبحت قاعدة منتظرة ليس لمنقطة الرياض فحسب بل عاصمة للدولة السعودية الأولى. أما السبب المباشر والحاسم في استعجال الدولة السعودية كسر شوكة دهام فهو هجومه على بعض البلدان التي انضمت إلى الدولة السعودية مثل بلدتي منفوحة والعمارية.[١]

ومن دون الدخول في تفاصيل المعارك التي خاضتها الدولة السعودية ضد الرياض نجد أن الدولة السعودية في عهد الإمام محمد بن سعود ثم في عهد ابنه عبدالعزيز قامت بحوالي خمس وثلاثين غزوة ضد دهام بن دواس في الرياض.[٢] ورغم أن بعض هذه المعارك حدثت إما عرضاً أو لم تتخذ اسماً معيناً، فإن المواقع الكبيرة والمشهورة بين الجانبين بلغت سبع عشرة موقعة، بعضها اشتهرت بأسماء معروفة مثل: وقعتا الشباب والعَبيد في عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م، ووقعة دلقة في عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، ووقائع البنية والخريزة والبطين في عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، ووقعة الحبونية في عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، ووقعتي البطحاء والوطية في عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م، ووقعتي الرشا وباب القبلي في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م، ووقعتي أم العصافير والبنية الثانية في عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م، ووقعة باب الشميري في عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م.

ورغم المدة الطويلة التي أمضتها الدولة السعودية في حرب دهام حيث إنه لم يمض عام إلا وكان بين الدولة وبين دهام معركة أو أكثر إلا أنه في غالب هذه المعارك كان النصر حليفاً للدولة السعودية. وفي فترات اليأس من تحقيق نصر واضح في معاداته للدولة السعودية كان دهام بن دواس يطلب الهدنة من

---

(١) تعود قصة هجوم دهام على منفوحة إلى عداوة قديمة بين دهام بن دواس وأهل منفوحة. وتتلخص قصة هذه العداوة في أن أباه كان رئيساً لهذه البلدة فقتل أناساً من أهلها، ومنهم المزارع. وبعد وفاته تولى ابنه محمد فقام عليه أهل منفوحة بزعامة زامل بن فارس وقتلوه وأجلوا إخوته ومنهم دهام إلى الرياض. ومع مضي الوقت أصبح دهام خادماً لأمير الرياض، ثم تولى الإمارة نيابة عن ابن أخته القاصر، فغضب عليه أهل الرياض وتكتلوا ضده حتى ساعده الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية كما أشرنا من قبل. للمزيد من التفاصيل عن قصة دهام مع أهل منفوحة والرياض، وكذلك هجومه إلى بلدة العمارية راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٤٨-٥٠، آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٢) عن هذه الغزوات وأسمائها وتواريخها انظر، الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٥-٩٩.

الدولة فيجيبه الإمام محمد بن سعود إلى طلبه تأليفاً لقلبه، وأملاً في أن يقتنع بعدم جدوى معاداته للدولة.

وعلى سبيل المثال طلب دهام من الإمام محمد بن سعود في عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م المهادنة فلم يرفض طلبه لكنه أراد أن يتأكد من صدق نيته فطلب منه ثمناً لتلك الهدنة خيلاً وسلاحاً. ولتأكيد رغبته في الهدنة ونبذ المعاداة والرغبة في الولاء للدعوة والدولة طلب دهام من الإمام محمد بن سعود أن يرسل له رجلاً يعلّم الناس التوحيد ويقيم الشريعة فأرسل لهم عيسى بن قاسم فبذل جهده في التعليم ونفع الله به خلقاً كثيراً كانوا ضد دهام عندما نقض العهد في شهر شعبان من العام التالي ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م. وخوفاً من بطشه هاجروا إلى الدرعية.[١] وفي مثال آخر طلب دهام بن دواس في عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م من الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يبايعهما على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. ومع شكّهما بالتزامه بالعهد بسبب مواقفه السابقة، إلا أنهما رجحا عامل المصلحة المحتملة، والالتزام بأحكام الإسلام التي توجب عليهما قبول من يعود إلى الحق والرشاد حتى يثبت ما يناقضه. ولكي يتثبتا من صدقه اشترطا عليه شروطاً منها: أن يدفع ألفي زر معجّلة، وأن يرد الأموال التي أخذها ممن غادروا الرياض خوفاً منه فالتزم بذلك، ومن دلائل خضوعه للدرعية أنه بعث ابنه دواس في شهر صفر من العام التالي ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م ضمن حملة الدولة السعودية الأولى ضد قبائل الظفير.[٢] لكن هل استمر دهام في ولائه للدولة مدة طويلة؟. والجواب بالنفي حيث إنه ما إن علم بهزيمة جيش الدولة في الحاير في شهر ربيع الثاني من العام نفسه ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م أمام قوة رئيس نجران الحسن بن هبة الله المكرمي حتى فرح وابتهج. ولم يكتف بذلك بل هنأ رئيس نجران على هذا الانتصار، وأهدى إليه هدايا ووعده بالنصرة والمعونة إذا عزم على القضاء على الدولة السعودية. كما أنه أصبح قدوة سيئة في ذلك عندما فعل أمير الخرج زيد بن زامل مثل فعله. ولم يكتف دهام بن دواس بهذا

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٩، ٤٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٦٧-٦٨، ٧٢. وانظر كذلك: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٠٩ وما بعدها.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٦٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٩١؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١١٢.

بل إنه استغل فرصة وجود صاحب نجران وأرسل إلى عريعر بن دجين، زعيم بني خالد في الأحساء يستحثه على القدوم إلى الدرعية ويغريه كذباً بأن النظام فيها مختل. ودون الدخول في تفاصيل حملة صاحب نجران فإن الدولة اتقت شره بصلح عاد بناء عليه إلى بلاده قبل أن يصل عريعر بن دجين، وبذلك خابت آمال دهام بن دواس ومعه زيد بن زامل ومن ساعدهما. أما دهام بن دواس فلم ييئس بل نجده في عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥ يغدر بأهل منفوحة مما دفع الدولة السعودية إلى شن الحرب الثالثة عليه كما يقول الفاخري.(١)

ولا شك أن لكل شيء نهاية وكان عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م نهاية دهام بن دواس وخاتمة المطاف في عداوة الرياض للدولة السعودية. ففي هذه السنة قاد الإمام عبدالعزيز الجيوش ونازل أهل الرياض أياماً وضيق عليهم واستولى على بعض البروج وهدم المرقب وجرى بينه وبين أهلها عدة معارك قتل فيها عدد من الرجال من الجانبين. وبعدها أدرك دهام أنه يقود مقاومة خاسرة، حيث لم يستطع خلال تلك المدة أن ينال من الدولة السعودية أو البلاد التابعة لها، كما أنه لم يستطع استقطاب المؤيدين له عدا من تابعه من أهل الرياض مقتنعاً وهم القلة أو مرغماً وهم الكثرة. يقول ابن بشر عن نهاية دهام "وبعد هذه الوقعة دخل قلب دهام الرعب والخجل، وداخله الخوف والوجل فلم يستقر له عين، وقام يحاول الانهزام وجمع رؤساء بلده وأخبرهم بحقيقة مقصده وأنه مليء خوفاً ورعباً فصاحوا عليه بأجمعهم، وقالوا خذ منا العهد والميثاق فقال لهم: دعوني فليست هذه البلد لي وطن، ولا أجد لي بها أنس ولا سكن".(٢) وقد خيّر أهل الرياض بين البقاء أو الهرب معه، ثم هرب دهام في شهر ربيع الثاني عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م مع نسائه وأبنائه وأعوانه وتبعه بعض أهل الرياض نساء ورجالاً تاركين كل ما يملكون من الأموال والطعام والإبل.

وتمشياً مع مبادئ الدعوة الإسلامية وأحكام الحروب في الإسلام نادى الإمام عبدالعزيز، عندما دخل الرياض، بالأمان لمن بقي من أهلها، وختم أبواب من ارتحل منهم خوفاً عليها من السرقة، وبعث

---

(١) الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص١١٣. وللمزيد من التفاصيل عن حملة كل من صاحب نجران وزعيم بني خالد على الدولة السعودية، راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٥-٦٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٩٣-٩٨.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١١٩. وانظر كذلك: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٨.

إلى الذين تابعوا دهام يؤمّنهم ويدعوهم إلى العودة إلى بلادهم فرجع الكثير منهم إلى بيوتهم.[١] أما من رفض العودة فقد جمعت أموالهم وأسلحتهم وأطعمتهم وأمتعتهم وأدخلت بيت المال.

وهكذا أسدل الستار على أطول مجابهة بين الدولة السعودية الأولى ومعظم أعدائها حيث كان ضم الرياض من أصعب المواقف التي عانت منها الدرعية، وقد استمرت حوالي ثلاثين عاماً، حيث استغرقت عهد الإمام محمد بن سعود كله وشطراً من عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد. وباستقراء الأحداث نجد أن عداوة دهام بن دواس أمير الرياض تذبذبت طوال سنواتها بين العداوة الواضحة، والهدنة الهشة، والسلم غير الثابت، لكن في أغلب هذه المدة كان دهام معلناً العداوة للدعوة الإصلاحية وللدولة السعودية. وبنظرة تحليلية نجد أن السنوات التي خضع فيها دهام للدولة ودخل في طاعتها لا تتعدى ثلاث سنوات متفرقة في خلال عشرين عاماً من الثلاثين عاماً التي استغرقتها عداوته. ومن ناحية أخرى نجد أنه عاهد الدولة أربع مرات ثم ينقض العهد في كل مرة، كما أنه انضم إلى الدولة وحارب إلى جانبها المعارضين لها ثم انقلب وأصبح أكبر عدو للدعوة والدولة. وفي مجال الوصف النوعي لهذه الحرب يمكن أن نلاحظ أن الحرب بين الدولة السعودية الأولى ودهام بن دواس اتخذت أسلوب الكر والفر وذلك ناتج عن عدم قدرة دهام على مجابهة الدولة السعودية في حرب مكشوفة.

ومن غير شك فإن استيلاء الدولة السعودية على الرياض كان له نتائج مهمة، سياسية واجتماعية وميدانية. فبالإضافة إلى أن الدولة تخلصت من عدو عنيد وقوي، فإنها استفادت من إمكانات الرياض العسكرية في ضم البلاد الأخرى. كما أن القوى الأخرى أدركت مدى قوة الدولة ولم تتحرش بها. وفي الميادين الحربية فإن الدولة السعودية باستيلائها على الرياض أمّنت ظهرها وخطوط مواصلاتها وأصبحت قادرة على القيام بحملات إلى بلاد بعيدة دون أن تخشى على عاصمتها.[٢] أما النتائج والآثار الاجتماعية التي خلفتها هذه الحرب فقد تمثلت في القتلى والجرحى وتشتيت الأسر. وحيث إن المؤرخين المعاصرين يركزون على عدد القتلى أكثر من تركيزهم على الجرحى وغيرهم، وقد قدر عدد

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٩.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الوقائع الأخيرة التي حصلت بين الدولة السعودية وبين أمير الرياض، دهام بن دواس ونتائجها وآثارها راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٨٥-٨٦؛ وابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٤٨-١٢٠؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص١٠٣؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٦.

ضحايا هذه الحرب بأربعة آلاف قتيل، حيث فقدت الدولة السعودية قرابة ألف وسبعمائة[١] قتيل، بينما فقد دهام قرابة ألفين وثلاثمائة رجل. ولا شك أن هذه الأعداد تعتبر كبيرة في ميزان الحروب الإقليمية في ذلك الوقت. وكما اتضح من خلال شرح أسباب هذه الحرب وتطوراتها العسكرية نجد أن السبب في قيامها واستمرارها هو أمير الرياض دهام بن دواس الذي رفض جميع المحاولات التي بذلتها الدولة السعودية لإقناعه بتأييد الدعوة الإصلاحية وضم الرياض مع بقية البلاد النجدية بالطرق السلمية.

ضم العيينة:

لا شك أن العمليات الحربية التي قامت بها الدولة السعودية لضم الرياض، وما قامت به من حملات أخرى لتمكين سلطة الدولة في بعض البلاد المجاورة للرياض كان لها انعكاسات مهمة بالنسبة للدولة، وبالنسبة إلى البلاد الأخرى التي تضمها منطقة الرياض في الوقت الحاضر. لقد اتضح من خلال تلك العمليات الحربية مقدرة الدولة السعودية على التعامل مع أكثر من جبهة في وقت واحد كما سيتضح لاحقاً هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن الفترة الطويلة التي أمضتها الدولة السعودية في مقارعة دهام بن دواس قد أغرت بعض البلاد النجدية في منطقة الرياض بالتحلل من ارتباطها بالدولة السعودية لأسباب مختلفة.

فحينما كان تمرد دهام بن دواس، أمير الرياض، على أشده بدأ يلوح في الأفق تصرّف غير ودي للدولة السعودية من جانب عثمان بن معمر، أمير العيينة، الذي أوقع نفسه في موقف لا يتناسب مع مؤازرته الأولى للدعوة الإصلاحية. فما هي تطورات موقف ابن معمر، وما أسباب تحوله التدريجي عن موقفه المؤيد للدعوة المعترف بسيادة الدولة السعودية الأولى وعاصمتها الدرعية ؟.

باستقراء الأحداث والمواقف التي كان عثمان بن معمر طرفاً فيها يمكن القول بإيجاز أنه أظهر العداوة للدولة ثلاث مرات في مواقف مختلفة.[٢] ورغم أنه في كل مرة يتم العفو عنه أملاً في لَمِّ الشمل وتوحيد الكلمة لتتفرغ الدولة إلى توحيد باقي البلاد النجدية الأخرى، إلا أن مواقفه العدائية وترسبات

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٨٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٠؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٨؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٩.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧١.

حب الزعامة لديه ازدادت تعمقاً وظهرت دلالاتها فكانت وبالاً عليه أودت بحياته ليس على يد الدولة، بل على أيدي جماعة من أهل بلدته. ولقد كان نفر من أهل العيينة المتحمسين للدعوة المؤيدين لوحدة البلاد النجدية متذمرين من موقف ابن معمر ولم يرضوا عن مواقفه فقتلوه بعد صلاة الجمعة في جامع البلد وذلك في شهر رجب عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م.[١]

وكانت نهاية ابن معمر على أيدي أبناء بلدته قد كفى الدولة من مشكلات أسرية وحزازات هي في غنى عنها بل إن الدعوة الإصلاحية التي قامت الدولة على أساسها كان من أولى مهامها القضاء على ما تأصل من هذه المشكلات وانتشر. ولا شك أن الحزم أمر مهم في سبيل تدعيم وحدة البلاد على الحق والعدل وهو المبدأ الذي قامت على أساسه الدولة السعودية. ولا شك أن الدولة السعودية كفيت، بعد مقتل ابن معمر، من شوكة في جنبها لكنها لم تكن ترغب في أن تكون تلك نهايته، بل إن الأحداث السابقة تؤكد أن الدولة مدت إلى ابن معمر حبال المودة والنصح والتأييد لكنه رغب سلوك طريق آخر. ومما يدل على أن الدولة كانت راغبة في استقطاب آل معمر أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ذهب بنفسه إلى العيينة بعد مقتل عثمان بن معمر وتشاور مع أهلها فيمن يلي الإمارة فيها وأقنعهم بتعيين مشاري بن معمر رغم معارضة المؤيدين للدعوة في العيينة لهذا التعيين.[٢] وقد استمر مشاري في إمارة الدرعية مدة عشر سنوات حتى عزل عنها في عام ١١٧٣هـ بعد أن ظهرت منه أمور كثير أثبتت عدم كفاءته وإخلاصه، وعين مكانه سلطان بن محسن المعمري. وبذلك أسدل الستار على موقف العيينة المتذبذب في علاقاتها مع الدولة السعودية رغم أن مواقف ابن معمر لم تصل إلى ما وصلت إليه مواقف دهام بن دواس أمير الرياض. وبعدها أصبحت العيينة كغيرها من البلاد النجدية.[٣]

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٣-١٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٠.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٣-١٤

(٣) للمزيد من التفاصيل عن تطور موقف عثمان بن معمر راجع: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٥٣-٥٦، ٦٠-٦١، ٨٤؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٤-٩٥؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٧٠-٧١.

ضم منفوحة:

كانت منفوحة مع العيينة من أول البلدان النجدية في منطقة العارض التي انضمت طواعية إلى الدولة السعودية عند قيامها، لكن بوادر الفرقة في نفوس من يحب الزعامة أو من يرغب في الكسب ظهرت بعد ذلك بقليل. وكما ذكرنا سابقاً فإن عصيان دهام بن دواس في الرياض ضد الدولة شجع بعض الزعماء النجديين على حذو طريقه رغم فارق الإمكانات المادية والعسكرية والاستراتيجية. ففي عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م نقض أهل منفوحة الولاء للدولة السعودية وأعلنوا الحرب عليها وطردوا إمامهم محمد بن صالح. وقد أدى ذلك إلى حالة من الخوف لدى المؤيدين للدولة السعودية مما دفع عدداً كبيراً منهم إلى مغادرة البلدة، حتى إن عدد من غادرها إلى الدرعية في يوم واحد بلغ سبعين رجلاً.(١) ومن الواضح أن الدولة السعودية لم تبادر إلى قمع هذا العصيان وانتظرت حتى عام ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م حيث قام الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود بحملة على منفوحة أسفرت عن مقتل أحد رجالها وهو علي أبو الماسح، ثم هزموا الإمدادات التي وصلتهم من الرياض.(٢) وهنا سؤال يطرح نفسه وهو لماذا لم تتحرك الدولة السعودية لقمع هذا العصيان في حينه؟. ويمكن الإجابة على هذا التساؤل بأن الدولة السعودية كانت منشغلة بمهام أخرى ومنها عصيان ضرما في عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م. أما عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤ فكان حافلاً بالنشاطات العسكرية، ومنها نقض دهام للعهد، وحملة الدولة السعودية على حريملاء حتى تم إخضاعها، لكن بعض المناوئين أعلنوا العصيان فجردت الدولة عليهم حملة فرقتهم.

ويبدو أن الحملة السعودية السابقة على منفوحة لم تؤت كل ثمارها حيث نجد الأمير عبدالعزيز يقوم بحملة أخرى على منفوحة في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م، أسفرت عن موقعة الرشا. وقد لقيت منفوحة خلال هذه الموقعة مساعدة من أمير الرياض مما أدى إلى مقتل عشرة من جيش الدولة وثلاثة من جيش أمير الرياض.(٣)

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ١٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٦.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٣.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

ومن الواضح أن الدولة السعودية لم تستطع كسر شوكة أهل منفوحة حيث نجدها تقوم بعدة حملات في السنوات التالية. ففي عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م ورغم ما شهده هذا العام من حملات على عدة بلاد في نجد مثل الدلم وثرمداء وبلاد منيخ[١] وبلدة ثادق إلا أن الدولة أرادت إظهار قوتها بتكرارها الحملات على منفوحة حيث قام الأمير عبدالعزيز بحملة عليها في العام نفسه، ثم كرر الحملة في العام التالي ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م ضمن حملات أخرى على بلاد سدير والزلفي. وفي هذه الحملة كانت الغلبة للجيش السعودي حيث قُتل من أهل منفوحة سبعة رجال، لكن دون نصر حاسم لجيش عبد العزيز يستطيع به ضم منفوحة إلى حظيرة الدولة.[٢] ولهذا السبب كرر الأمير عبدالعزيز المحاولة حيث قام بحملة على منفوحة في عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، رغم انشغاله في هذا العام بعدة حملات على بلاد الوشم والخرج. وكانت النتيجة كسابقتها انتصار جيش الدولة، وتبين مدى تمكن الدولة من المواجهة في عدة جبهات في وقت واحد.[٣] وبعد رجوعه من حملة على الأحساء في عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م، قام جيش الدولة بحملة محدودة على منفوحة حصل فيها على مكاسب مادية ومعنوية.[٤]

---

(١) لا يعرف اليوم بلدٌ باسم منيخ لكن هذا الاسم كان معروفاً خلال العصر الإسلامي. ذكره الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (١٣٩٤هـ)، مرجع سابق، ص٢٨٦ بقوله "... فترد منيخين ثم الحنبلي وهما ماءان، فمنيخين نخل قليل ولا نخل على الحنبلي، ثم الفردوس في وسط الحزن". ويعلق محمد بن عبد الله بن بليهد، محقق كتاب الهمداني، طبعة السعادة، (١٩٥٣م)، ص ٣٣٣ بقوله: "فترد منيخين، ثم الحنبلي الذي أعرفه منيخ واحد وهو بلد المجمعة والحنبلي قريب من الدهناء باق على اسمه إلى هذا العهد". وفي العصر الحديث، ذكر الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، **تاريخ نجد وملحقاته**، مؤسسة دار الريحاني، بيروت، ص٢٧، أن منيخ اسم للمجمعة وحرمة معاً، وأن حرمه أقدم تأسيساً حيث عمرت سنة ٧٧٠هـ، بينما عمرت المجمعة سنة ٨٢٠هـ. انظر تعليق المحقق على كتاب: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٣ هامش ١. ويقول ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص٤٠٢؛ منيخ بضم الميم وكسر النون وإسكان الياء (المجمعة) وما حولها من واديها. كان هذا الاسم يطلق عليها قديماً ولا تعرف إلا به. أما الآن فقد أصبح هذا الاسم أثرياً. وكانوا قبل يقولون سدير ومنيخ. أما الآن فإن المجمعة التي هي منيخ سابقاً قد أصبحت قاعدة سدير كله.

(٢) راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٦٢. انظر عن حملته على الأحساء: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٥.

وهكذا من خلال العرض السابق يتضح مدى الجهد والمعاناة التي بذلتها الدولة السعودية في سبيل إخضاع بلاد منطقة الرياض، إذ ما إن تنضم بلدة حتى تُظهر الأخرى العصيان كما يتضح من هذا البحث.

ضم حريملاء:

وإذا كان انتكاس بعض البلاد النجدية في ولائها للدولة السعودية كان مفاجأة، فإن ما شهدته بلدة حريملاء آنذاك من عصيان للدولة لم يكن مفاجئاً نظراً للموقف الذي اتخذه بعض أهلها من وجود الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بلدتهم في بداية قيامه بالدعوة. ومع ذلك فإن الأمر المستغرب في انتكاسة بعض أهل هذه البلدة هو أن الذي تزعّم معارضتهم للدولة، الذي أعلنوه في شوال عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م، هو قاضيها سليمان بن عبدالوهاب، أخو الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[١] ولم يكتفوا بذلك بل إنهم خرجوا على الدولة وحاربوها وعزلوا أميرهم محمد بن عبدالله بن مبارك وأخرجوه من البلدة.

ويبدو أن الدولة السعودية لم تستغرب هذه الانتكاسة بسبب مواقف سابقة لأهل حريملاء. كما أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسه لم يستغرب ما قام به أخوه لأنه سبق أن عرف موقفه من الدعوة فكتب إليه الشيخ ينصحه ويحذره من سوء العاقبة، فكتب إلى الشيخ واعتذر منه، وأكد له التزامه بالعهد، وأنه سيغادر حريملاء إن وقع من أهلها عصيان أو مخالفة. ويذكر ابن غنام أن سليمان أرسل "رسالة زخرف فيها القول. . . ". ويؤكد ذلك في مكان آخر بقوله "ولكنه لم يلبث أن كشف عن غدره ومكره، وحسده لأخيه، وغيرته منه، فنقض العهد" وفي موقف آخر يذكر ابن غنام أن سليمان كتب مع شخص اسمه سليمان بن خويطر كتاباً إلى أهل العيينة ذكر فيه شبهاً مريبة وأقاويل محرفة وأحاديث مضلة وأمره أن يقرأها على الناس في المجالس والبيوت، فكان لها تأثير سيئ حيث اقتدى بها بعض الناس. وعندما

---

(١) كان سليمان بن عبدالوهاب قد ألّف كتاباً أسماه "فصل الخطاب في الرد على ابن عبد الوهاب"، ولكن الناشر سماه "الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية" إمعاناً في أهداف أعداء الدولة؛ لأنه أكثر جذباً وبريقاً. لكن الشيخ سليمان عاد في النهاية والتزم بمبادئ الدعوة الإصلاحية وأقام في الدرعية حتى توفي في شهر رجب عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م. انظر ترجمة له في تعليق المحقق على كتاب: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧١ هامش ١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٩؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٢ الهامش.

علم الشيخ محمد بن عبدالوهاب أمر بقتل الرجل.[١]

وقد عزم أمير حريملاء المعزول وأعيان البلد الذهاب إلى الدرعية وإبلاغ الإمام محمد بن سعود بما حصل من نقض العهد في بلدتهم فخاف أهل الفتنة واتصلوا بآل حميد من قبيلة الأمير المعزول كي يعتذرون نيابة عنهم ويحثونه ومن معه على الرجوع ويعدونه بالنصرة وعدم الخروج على سلطة الدولة. وكان بعضهم يضمر خلاف ذلك فاستشار الشيخ والإمام فأشاروا عليهم ألاّ يذهبوا إليهم إلا بعدد كبير من الرجال المسلحين، لكنه لم ينفذ المشورة وذهب بعدد قليل فعلم بهم أهل حريملاء وقاموا بمساعدة قبيلة آل راشد وحاصروهم وقتلوا الأمير وثمانية من أعوانه وهرب البقية إلى الدرعية. واستطاع مبارك ابن عدوان أن ينجو بنفسه ويهرب إلى الدرعية حيث أخبر الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب بما حصل في بلدته حريملاء والأمر الذي آل إليه مصير أميرها من قبل الدولة السعودية. ثم إن أهل حريملاء استعدوا للحرب بأن حصنوا بلادهم، كما أرسلوا إلى مشاري بن معمر لكي ينضم إليهم لكنه رفض لعدم رغبته في الخروج على الدولة السعودية.[٢]

ومما يلاحظ أن الدولة السعودية في هذه الفترة لم تحاول التدخل عسكرياً لقمع الفتنة في حريملاء أملاً في حل المشكلة داخلياً، ولانشغال الدولة بالتعامل مع مشكلات أخرى مع الرياض ومنفوحة وعصيان أهل ضرما. ولا شك أن تأخر الدولة في الرد الحاسم جعل أهل حريملاء يعتقدون بقوتهم وبضعف الدولة ولذلك تجرؤوا على مهاجمة الدرعية، عاصمة الدولة عدة مرات، في عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م. وهذا ما جعل الدولة السعودية تتنبه للخطر، وتقوم بحملات محدودة على حريملاء لإظهار هيبتها في هذه البلاد وغيرها، كان بعضها بقيادة الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود.[٣]

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٧، ١٩-٢٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٥.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٢.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٨-١٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٦.

ويبدو أن قادة الدولة السعودية وكذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد ضاقوا ذرعاً بالأحوال المتردية التي يعيشها سكان بلدة حريملاء من جراء الفتن والخلافات الداخلية فأرادوا أن يضعوا لها حداً بضمها عنوة للدولة السعودية. ففي جمادى الآخرة من عام ١١٦٨هـ/ مارس ١٧٥٥م، برغم نقض دهام بن دواس العهد في هذه السنة، ورغم انشغال الدولة السعودية بحملات عسكرية في جهات أخرى من بلاد منطقة الرياض، وانشغالها بخروج أهل منفوحة على الدولة في هذه الفترة، إلا أن الدولة لم تستطع التأخر أكثر من ذلك فقام الأمير عبدالعزيز على رأس حملة قوامها عدد كبير من المقاتلين. وعندما قرب من البلدة وضع كمينين ترأس أحدهما وجعل على الثاني مبارك بن عدوان. وعندما بدأ الهجوم خرج الكمينان وهاجم الجميع البلد حيث انهزم أهله وتفرقوا في الوديان والشعاب، وقد قتل منهم حوالي مائة مقاتل. وهمّ عبدالعزيز بالرجوع إلى بلاده، لكن أمير ضرما دخل حريملاء مع جيشه وبعث إلى عبدالعزيز بالخبر فعاد عبدالعزيز ودخل البلدة ونادى بالأمان لأهلها، ثم عين عليها مبارك بن عدوان. وقد قتل في هذا الهجوم عدد من أهل حريملاء كما هرب سليمان بن عبدالوهاب إلى سدير ماشياً. وبهذا انتهى عصيان أهل حريملاء وأعلنوا انضمامهم إلى الدولة السعودية الأولى، وكان ذلك يوم الجمعة الثامن من شهر جمادى الأولى على رواية ابن غنام، والسابع من جمادى الآخرة على رواية ابن بشر عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م.[١]

لكن هل انتهت معاناة أهل حريملاء؟ وهل ارتاحت الدولة السعودية من شوكة في جنبها؟. الإجابة على هذا التساؤل تبدو سلبية إذ أنه بالرغم من خضوع حريملاء للدولة السعودية إلا أن هناك فئات من أهلها لم تقتنع بهذا التوجه أملاً في بقاء نفوذهم ومصالحهم، ولذلك هربوا عندما دان أغلب الأهالي بالطاعة للدولة. وفي محاولة يائسة من هؤلاء الخارجين استجمعوا قواهم وأعوانهم من زعماء البلاد النجدية الذين سبق أن أعلنوا خروجهم على الدولة ومنهم دهام بن دواس أمير الرياض، وابن فارس صاحب منفوحة، وإبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء، وكذلك جماعة من أهل الوشم، وأهل سدير، وأهل ثادق، وسار الجميع لاستعادة حريملاء. وعند وصولهم دخلوا منزلة الحسيان فقاتلهم أميرها

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٤٥-٤٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٧٠-٧٢؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٨٢.

بمساعدة أهلها لكن يبدو أنه خاف من الهزيمة بعد أن قتل من رجاله ثمانية عشر رجلاً فاستنجد بالإمام محمد بن سعود الذي سارع إلى نجدته فحصل بينه وبين المهاجمين معركة سميت معركة الدار، نسبة إلى الدار المعروفة ببيت ناصر من الحسيان، في شهر ذي القعدة عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م وقد أسفرت هذه المعركة عن قتل حوالي ستين رجلاً من المهاجمين وهرب آخرون وأسر البعض منهم حتى أفرج عنهم بفدية. وبذلك تشتت شمل المهاجمين وفشلت خطتهم في استعادة حريملاء.(١)

وهنا يبرز تساؤل عن مدى حفظ مبارك بن عدوان الجميل للدولة السعودية بعد أن أعادته إلى الإمارة؟. لقد أثبتت الأحداث التالية أن العلاقة الطيبة بين الطرفين لم تستمر بل انقلبت إلى عداوة بسبب تصرفات ابن عدوان وشخصيته. فقد اغتر بنفسه وأصبح يحتقر المخالفين له من المؤيدين للدولة السعودية من أهل حريملاء، بل بلغ به الأمر إلى حد جعله لا ينفذ الأوامر التي يصدرها إليه الإمام محمد ابن سعود أو الشيخ محمد بن عبدالوهاب.(٢) ومن الأمثلة على تصرفات ابن عدوان غير المبررة أنه خلال حملة الدولة السعودية على ثرمداء عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م كان لابن عدوان علاقة فيما حدث لأميرها وأخذه أسيراً لكنه أطلقه بعد وصوله إلى حريملاء دون علم زعماء الدولة السعودية أو الشيخ محمد بن عبدالوهاب فغضبا عليه. وبسبب هذا التصرف ولكي لا يزيد غروره، وللحيلولة دون إفساح المجال له للانتقام عُزل عن إمارة حريملاء وعُين ابن عمه حمد بن ناصر بن عدوان بدلاً عنه على رواية ابن بشر، وعلى رواية ابن غنام أحمد. وترضية له أذن الإمام محمد بن سعود أن يأخذ من نخيل حريملاء ما يريد بشرط أن يقيم في الدرعية معززاً مكرماً وأن تتحمل الدولة خراجه. وتظاهر مبارك بالموافقة لكنه طلب زيارة أخته في بلدة العيينة فوافق الشيخ، ثم نكث بوعده وركب حصاناً من هناك وأسرع إلى حريملاء، لكن أهل حصنها علموا به فأغلقوا باب الحصن فاستجمع أعوانه وأناساً من قبيلته فخاف أهل البلدة انتقام الدولة فتفرقوا عنه فلم يجد بداً من الهرب مع أعوانه إلى بلدة الصفرة ومنها إلى المجمعة حيث طلب من أميرها ومن أهل حرمه، وأهل سدير، وأهل الوشم، النصرة. ورداً للجميل قام أمير ثرمداء بمساعدة ابن عدوان والسير معه إلى حريملاء، لكنهم عدلوا عن رأيهم بعد أن علموا أن الأمير

---

(١) انظر ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢ص ص٤٦-٤٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٧٢-٧٣.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٣.

عبدالعزيز سبقهم إلى حريملاء ففشلت خطتهم.[١] ولم تنته عداوة ابن عدوان عند هذا الحد بل قام في عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م بمساعدة عريعر بن دجين، زعيم بني خالد في الأحساء، في حملته على الدولة السعودية.[٢] والواقع أن جميع خطط مبارك بن عدوان ضد الدولة السعودية قد فشلت وتشتت شمله وتفرق عنه أتباعه وظل طريداً حتى مات في المجمعة عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م.[٣]

وهكذا نلاحظ أن الدولة السعودية تمكنت من استرجاع هيبتها في بلد مهم آخر من بلاد منطقة الرياض وأثبتت لأعدائها وللموالين لها على حد سواء أن الوقت قد حان للتّسليم بقوتها ونفوذها باعتبارها دولة تسعى إلى جمع البلاد النجدية في بوتقة واحدة تقضي على المشكلات التي كانت محور حياتها.

ضم ثادق:

ومثل ما حصل في بلاد كثيرة، قامت الدولة السعودية بحملة في سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م على بلدة ثادق أظهرت مقدرة الدولة في بداية عهدها على أخذ زمام المبادرة لتحقيق هدفها في ضم البلاد النجدية.[٤] ويبدو أن قادة الدولة السعودية لم يكونوا في عجلة من ضم بلدة ثادق بالقوة؛ لأنهم لم يجدوا معارضة واضحة، ولاعتقادهم أن مسألة انضمامها باتت قريبة ولن تحتاج إلى وقت طويل، والأمر المهم هو انشغال الدولة بمقارعة أعداء أكثر شراسة وأقوى عدة وعدداً؛ من أمثال دهام بن دواس وغيره من زعماء منطقة الرياض.

---

(١) وفي نفس هذه الحملة عاقب الأمير عبدالعزيز أهل رغبة على خذلانهم لأميرهم الموالي للدولة السعودية، انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٧٩-٨١. وسيأتي تفصيل حملة الدولة السعودية على ثرمدا لاحقاً. وانظر كذلك آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٨١-٨٢.

(٣) عن حملة عريعر ونهاية ابن عدوان انظر: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ص ١١٣-١١٤؛ غرايبة، عبدالكريم محمود، (١٣٨٠هـ)، **مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م**، ج١، العراق والجزيرة العربية، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ص٣٥٥.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٥٩.

وبعد حوالي عشر سنوات، وضمن عدة حملات لضم البلاد النجدية أو لتأديب بعضها على معارضتها للدولة قام الأمير عبدالعزيز في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م بحملة على بلدة ثادق حصل خلالها بينه وبين أهل البلدة معركة قتل فيها ثمانية رجال من جيش الدولة، وثمانية من أهل ثادق. وعند ذلك أدرك أهل ثادق عدم جدوى مقاومتهم فطلبوا الأمان من عبدالعزيز وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ثم ذهب وفد منهم إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود. وقد قوبلوا مقابلة حسنة ثم عادوا إلى بلادهم وعين الإمام محمد بن سعود عليهم دخيل بن عبدالله بن سويلم، كما أرسل معهم أحمد بن سويلم يعلمهم التوحيد وأصول الدين ويفقههم في الدين.(١)

وخلال حملة عريعر بن دجين على بلاد الجبيلة في عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م ساعده عدد من زعماء بلاد نجد، ويظهر أن أهل ثادق ممن ساعدوه بدليل أنهم لما فشل في حملته ندموا على ذلك وبعثوا إلى الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب يطلبون العفو على أن يدفعوا للدولة ثمرة الزرع والتمر نكالاً، فقبلوا منهم وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ثم عين عليهم ساري بن يحيى بن علي بن سويلم أميراً.(٢)

ضم الحاير:

وفي بداية الثمانينات من القرن الثاني عشر الهجري بدأت هيبة الدولة السعودية تتضح، وأصبحت قوتها ظاهرة. وبالرغم من أن عداوة دهام بن دواس ما زالت قائمة إلا أن قوته شاخت، ومعنوياته ضعفت، وآماله بدأت تتلاشى. وفي هذا الوقت أصبحت الدولة قاب قوسين أو أدنى من تحقيق نصر حاسم على أعدائها وخاصة في البلاد المجاورة للدرعية. ولتحقيق التوازن الجغرافي في هذه المنطقة قام الإمام عبدالعزيز نفسه بحملة على الحاير، المعروف بحاير سبيع، في عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م، إلا أنه جاءهم من ينذرهم فاستعدوا، وعندما وصلت الحملة السعودية حصل بين الفريقين قتال كانت الغلبة فيه للجيش السعودي لأنه كان الأقوى فانهزم أهل الحاير واعتصموا بالقصر الموجود في البلدة حيث كان أهله خارجين على الدولة، ولم يحاصرهم جيش الدولة بل اكتفى بمعاقبتهم بأخذ بعض مواشيهم.(٣)

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٢.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٧-٧٨.

وفي عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م سار على رأس حملة عسكرية لإخضاع بلدة الحاير وضمها للدولة السعودية، حيث -اصر البلدة فلم يخرج أحد من أهلها لمقاتلته فاكتفى بقطع بعض نخيلها حتى أذعنوا وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.(١)

ضم بلاد الوشم: (٢)

من أهم بلاد الوشم آنذاك شقراء وهي من أول البلاد في منطقة الرياض التي أيدت الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم كانت من أوائل البلدان التي انضمت إلى الدولة السعودية، ولهذا كانت محل تقدير وحماية الدولة السعودية. وقد أكد أهل شقراء في عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م تأييدهم جميعاً للدعوة الإصلاحية، ودخولهم في طاعة الدولة السعودية.(٣) وبسبب موقفهم هذا تعرضوا لهجوم من بعض القوى المناوئة للدولة السعودية. ففي عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م تحزب أهل منيخ وسدير والوشم وساروا إلى شقراء للانتقام منهم لمبادرتهم بتأييد الشيخ ومبايعة الدولة السعودية، حيث وصل المعتدون إلى شقراء وبدؤوا بالهجوم عليها. ورغم انشغال الدولة في هذا العام بمشكلات أخرى مثل نقض دهام بن دواس العهد مع الدولة، وحملة الأمير عبدالعزيز على حريملاء، وهجوم المناوئين من أهل منفوحة، إلا أن الإمام محمد بن سعود أرسل إلى أهل شقراء يطمئنهم بأن الدولة ستقف معهم، ثم سارع بإرسال نجدة إليهم بقيادة ابنه عبدالعزيز. وعند وصوله إلى مشارف شقراء وضع للمعتدين كميناً وطلب من أهل شقراء مقاتلتهم، ثم خرج عليهم الكمين فانهزم المعتدون إلى بلدة القراين حيث سميت هذه المعركة باسمها. وقد قتل من المعتدين خمسة عشر رجلاً، وحوصر عدد منهم حتى هربوا في جنح الظلام، وبذلك استمرت شقراء مؤيدة للدعوة والدولة.(٤)

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٨٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١١٥.

(٢) يقول الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (١٣٩٤هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٠٩-٣١٠؛ "الوشم من أرض اليمامة وهو للقراوشة من بني نمير وأول الوشم ثرمداء، وأثيفية، وأثيثية وهي لمعشر عمارة بن عقيل... وأشيقر والشقراء وهما لبني تميم... وبلبول... قال ومنها ومما يعد في حوزتها سواد باهلة وأوله من مُشرقه بلد يقال له القريع يعرف ببني زياد من باهلة، ثم أعلى منه حصن آل عصام وهو من ولد عصام خادم النعمان...". وللمزيد من المعلومات عن منطقة الوشم انظر: ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص ص٤٤١-٤٤٤.

(٣) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١٠٩.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، =

ضم القصب:

وبعد أن اتضحت استراتيجية الدولة السعودية في ضم بلاد منطقة الرياض، قام الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود في عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م بحملة على بلدة القصب في الوشم وحاصرهم حتى صالحوه على ثلاثمائة أحمر، وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.(١)

ضم مرات:

في عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م قام الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود بحملة عسكرية إلى الوشم قاصداً بلدة مرات. ويبدو أن هجومه على هذه البلدة حصل نتيجة تواطؤهم مع أهل ثرمداء في عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م كما سيتضح ذلك عند الحديث عن ثرمداء. وعند وصوله إلى بلدة مرات وضع كميناً خارج البلدة، فلما بدأ هجومه عليها خرج الكمين فهرب أهل البلدة بعد أن قتل منهم حوالي عشرين رجلاً، بينما قتل من جيش عبدالعزيز رجلان.(٢) ولم يحصل بعد هذا التاريخ ما يفيد بعصيان أهل مرات مما يدل على أنهم انضموا إلى الدولة السعودية تلقائياً.

ضم أثيثية:

كانت بلدة أثيثية من البلدان التي أيدت الدعوة الإصلاحية وانضمت إلى الدولة السعودية في وقت مبكر، لكن زعماء البغي لا يهنأ لهم بال إلا برؤية عقد الدولة السعودية قد انفرط حقداً عليها، وطمعاً في مكاسب مادية ومعنوية. ففي عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م نقض أهل أثيثية البيعة للدولة السعودية، وحاربوها، وقتلوا أميرها عبدالكريم بن زامل. وقد شجعهم على ذلك أمير ثرمداء إبراهيم بن سليمان المعادي للدولة السعودية عندما استشاروه في نقض البيعة فشجعهم على ذلك كي ينضموا إلى حلفه. ويبدو أنهم وجدوا الفرصة مواتية في هذا الوقت بسبب انشغال الدولة في حملة قام بها الأمير عبدالعزيز

= مصدر سابق، ج١، ص ص٧٤-٧٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٢؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٧؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

على الأحساء في عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٨م.[١] وقد انضمت بعد ذلك بلدة أثيثية إلى الدولة السعودية دون الحاجة إلى حملات عسكرية.

ضم الفرعة:

وفي حملته على بلاد الوشم عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م قام الأمير عبدالعزيز بحملة على أهل بلدة الفرعة وحصل بينهم قتال سقط فيه من أهل البلدة عدة رجال. وبعد ذلك بعدة أيام أدرك أهل هذه البلدة عدم مقدرتهم على مقاومة الدولة السعودية، كما أنهم عرفوا أنه ليس لهم غنى عن حماية الدولة، ولذلك وفد أهل الفرعة على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.[٢] وقد اتخذتها الدولة السعودية خط المواجهة مع بلدان أخرى في الوشم حيث طلب الأمير عبدالعزيز من أهل الفرعة بناء برج الحليلة شرق الفرعة ليضيقوا به على أهل أشيقر ويكون دفاعاً عن بلدتهم.[٣]

ضم أشيقر:

رغم تأييد شقراء وبلاد أخرى في إقليم الوشم للدعوة الإصلاحية ودخولها في طاعة الدولة السعودية الأولى في وقت مبكر، كما أوضحنا في الصفحات السابقة، إلا أن بلدة أشيقر وهي من البلاد القريبة من شقراء تأخرت عن هذا السبق. وبالرغم من عدم وجود دليل على شق بلدة أشيقر عصا الطاعة، أو اتخاذها موقفاً سلبياً من الدعوة الإصلاحية في بدايتها، أو معاداة الدولة السعودية فيما بعد، إلا أن الدولة السعودية، بعد أن تمكنت من ضم كثير من بلاد منطقة الرياض، بدأت في ضم البلاد الأخرى، وبخاصة الصغيرة منها. وبرغم انشغال الدولة في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م بحملات مختلفة على الرياض ومنفوحة وثادق وجلاجل والعودة وتحزب أهل منيخ عليها، إلا أنه من الواضح أن الدولة كانت قادرة على التعامل مع أكثر من جهة. ففي هذا العام قام الأمير عبدالعزيز بحملة على بلدة أشيقر

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٢-٦٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٩١.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٦٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٧.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٨.

وعند وصوله خرج عليه أهلها فحصل بينهم قتال انهزم فيه أهل البلدة وقتل منهم أربعة رجال.[١] ورغم هذا الانتصار إلا أنه يبدو أن الدولة لم تعزم على ضم بلدة أشيقر بالقوة، بل كانت تريد الضغط عليها حتى يعلم المعارضون مدى قوة الدولة من جهة، ويتشجع المؤيدون لها من جهة أخرى، ولهذا نجد الدولة تتفرغ في السنتين التاليتين لمهام أخرى في بلاد الرياض وثرمداء وسدير والمحمل، ثم التصدي لحملة عريعر بن دجين على الجبيلة في عام ١١٧٢هـ، كما أوضحنا سابقاً. وعندما حان الوقت في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م قام الأمير عبدالعزيز بعدة حملات على بلاد منفوحة وثرمداء ومنيخ وثادق والدلم. وعند عودته من الحملة الأخيرة سار إلى الوشم على رأس حملة هاجم بها بلدة أشيقر. وعندما قرب منها وضع كميناً، فلما نشب القتال بينه وبين أهل أشيقر خرج عليهم الكمين فانهزموا إلى بلدتهم بعد أن قتل منهم عشرون رجلاً.[٢] وبعد ذلك لم يذكر المؤرخون النجديون المعاصرون لأحداث بلاد نجد في هذه الفترة أية حملات سعودية على بلدة أشيقر. ويبدو أن الوضع استتب فيها رغم عدم انضمامهم إلى الدولة السعودية إلا في عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م عندما بايع أهل أشيقر ومن تبعهم الإمام عبدالعزيز على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.[٣]

ضم ثرمداء:

رغم التأييد الذي قامت به بلاد الوشم، وخصوصاً بلدة شقراء، للدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكذلك الطابع السلمي الذي ميّز علاقات بلاد الوشم بالدولة السعودية الأولى منذ قيامها إلا أن بلدة ثرمداء لم تسلك نفس المنهج، حيث كانت لها مواقف سلبية تراوحت بين العداء الواضح، وممالأة أعداء الدولة والوقوف معهم، أو إغراء بعض بلاد الوشم مثل مرات وأثيثية بالخروج على الدولة كما اتضح من خلال هذا البحث. ولا شك أن هذه المواقف فرضت على الدولة

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥٦-٥٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٨٣-٨٤.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٣.

التعامل معها بحزم منذ البداية. ففي عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م قام أهل ثرمداء بعصيان ضد الدولة السعودية فأرسلت جيشاً كبيراً على قسمين. القسم الأول يقوده عثمان بن معمر على رأس أهل العيينة وحريملاء، وقسم يقوده الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود على رأس أهل الدرعية وقراها وأهل ضرما، لكن القيادة العامة للجيش كانت تحت إمرة عثمان بن معمر. وبعد وصول الجيش إلى ثرمداء وضعوا كميناً، وفي الصباح اشتبك جيش الدولة مع المقاتلين من أهل ثرمداء في معركة عرفت بوقعة البطين، ثم خرج عليهم الكمين فدارت الدائرة على أهل ثرمداء فولوا منهزمين وقتل منهم نحو سبعين رجلاً. وبعد ذلك قصد مقاتلوهم قصر الحريص فتحصنوا فيه وأخلوا البلدة. وفي هذه الأثناء رأى الأمير عبدالعزيز أن يدخل جيش الدولة البلدة لتثبيت ولائها للدولة، لكن عثمان بن معمر رفض ذلك دون إبداء الأسباب فحصل بينهما كلام وألقى عبدالعزيز اللوم على عثمان لكنه استمر في موقفه. وازداد الأمر تعقيداً بينهما عندما أراد عبدالعزيز دخولها بمن معه من الجيش لكن عثمان، الذي كان معه أكثر الجيش رجع إلى العيينة. وبقي عبدالعزيز إلى آخر النهار ثم عاد إلى الدرعية.[1] ونتيجة لذلك ساءت العلاقة بين الأمير عبدالعزيز وعثمان بن معمر كما سبق أن فصلنا ذلك عند الحديث عن العيينة وموقف أميرها من الدولة السعودية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا عاد عثمان قبل أن يدخل البلدة التي جاء أصلاً لإعادتها إلى بوتقة الدولة، وما سبب رفضه لطلب الأمير عبدالعزيز؟. وفي غياب الروايات التي تبين حقيقة هذا الموقف، والدوافع وراءه، فإن المتأمل للأحداث التي صاحبت توحيد البلاد النجدية يدرك أن هناك تغيراً في موقف ابن معمر من الدولة السعودية والولاء لها كما أوضحنا سابقاً عند الحديث عن موقف الدولة من انتكاسة العيينة بزعامة أميرها عثمان بن معمر.

وإزاء هذا الموقف يبدو أن أهل ثرمداء استمروا على عصيانهم للدولة حيث يحدثنا ابن بشر عن حملة قام بها الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود في عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م لمعاقبة أهلها. ويبدو أن الدولة السعودية استفادت، بطريق غير مباشر، من مقتل عثمان بن معمر أمير العيينة في شهر رجب من هذا العام على أيدي أهل بلدته حيث فقدت ثرمداء بموته مناصراً قوياً لها. وتحسباً لأصعب المواقف

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١-١٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٥٨-٥٩؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٠.

استعد الأمير عبدالعزيز لهذه الحملة بجمع جيش كبير، وسار معه مشاري بن إبراهيم بن عبدالله بن معمر. ويبدو أن هناك عيوناً لأهل ثرمداء أخبروهم بنية جيش الدولة مهاجمتهم فاستعدوا بأنفسهم واستنجدوا بأهل أثيثية وأهل مرات، لكن الأمير عبدالعزيز من جانبه خدعهم بأن وضع لهم كميناً خرج عليهم أثناء المعركة الكبيرة التي سميت وقعة الوطيّة فانهزم أهل ثرمداء وأعوانهم وقتل منهم خمسة وعشرون رجلاً.(١)

وتبعاً لهذه النتيجة لم تؤت الحملة السابقة ثمارها المرجوة في إخضاع البلدة، لكن الدولة لم تكرر عليها الحملات إلا بعد ثمان سنوات. ويبدو أن هناك عوامل ميدانية أرجأت قيامها بحملة سريعة. فالدولة كانت مشغولة في السنوات المذكورة بعمليات حربية متفرقة، منها قيامها بمعاقبة أمير ضرما الذي نقض العهد في عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م، وحصار الدولة له في العام التالي، ثم حصول عصيان في بلدته في عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م. وفي الرياض كان تمرد دهام بن دواس، العدو المزمن للدولة، على أشده، حيث نقض العهد في عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م، مما دفع الدولة إلى تكثيف الحملات عليه في كل سنة تقريباً. كما حصلت في هذه الفترة حملات لإخضاع بلاد أخرى أظهرت العصيان مثل حريملاء ومنفوحة.

ومع أهمية هذه العوامل إلا أنها لم تغير من استراتيجية الدولة السعودية في التعامل مع الأحداث المستمرة أو المستجدة بحسب أهميتها. ومن هذا المنطلق فإن إرجاء ضم بلد لا يعني عجز الدولة وعدم قدرتها على ذلك، بل يعني أن الوقت لم يحن بعد، وأن هناك أولويات في سياسة الدولة في هذا الجانب، وأن تأخير ذلك الضم لن يسبب مشكلات أمنية أو انتكاسة في استراتيجية الدولة.

وابتداء من عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م وضعت الدولة مسألة إخضاع ثرمداء في استراتيجيتها حيث قام الأمير عبدالعزيز في هذا العام بحملة على البلدة فوضع كميناً قرب البلدة، ثم أرادوا الدخول من خلال فتحة أحدثوها في السور حيث دخل من خلالها بعض المقاتلين. وعندما علم أمير ثرمداء، إبراهيم بن سليمان، استعد بالمقاتلين وجعلهم على فرقتين هاجموا الذين دخلوا السور ومن هم خارجه. ولم يحالف النصر قوات الأمير عبدالعزيز في هذه الموقعة التي اشتهرت بموقعة البطيحا حيث قتل من جنوده نحو ثلاثين رجلاً وقتل من أهل ثرمداء نحو ثمانية رجال. وقد انتقم مبارك بن عدوان أمير حريملاء

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٢؛ ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٠.

الموالي للدولة السعودية من أمير ثرمداء حيث قام مع بعض المقاتلين من أهل حريملاء وأخذوا عبدالله بن سليمان[١] أسيراً، لكنه أطلق سراحه بعد وصوله إلى حريملاء دون علم الإمام محمد بن سعود أو الشيخ محمد بن عبدالوهاب فغضبا عليه. وبسبب هذا التصرف من مبارك بن عدوان أمير حريملاء وبسبب تصرفات شخصية انقلبت علاقته مع الدولة السعودية إلى عداوة كما أوضحنا في الحديث عن ضم حريملاء.[٢]

وضمن حملات الدولة السعودية على عدد من البلاد النجدية في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م مثل منفوحة والدلم ومنيخ وثادق، قام الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود بحملة على بلدة ثرمداء حيث نشب قتال مع أهلها كانت الغلبة فيه لجيش الدولة.[٣] وفي عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، وخلال حملته على بلاد الوشم، اتجه الأمير عبدالعزيز إلى ثرمداء، لكن عيوناً لأهلها أنذروهم بالهجوم. وعندما وصل جيش الدولة حصل مناوشة بين الطرفين قتل فيه من أهلها رجل واحد.[٤] وعلى الرغم من هذه الحملات على بلدة ثرمداء إلا أنها لم تؤد إلى نتيجة حاسمة، ويبدو أن انشغال الدولة السعودية بميادين عسكرية أخرى في بلاد نجد أخّر عملية حسم عصيان ثرمداء، وقد زاد الأمر صعوبة حملة رئيس نجران على منطقة الرياض في عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م. وبعد وفاة الإمام محمد بن سعود في عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م قامت الدولة السعودية بحملة عسكرية على ثرمداء في عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م يقودها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بنفسه، وقبل وصوله إلى البلدة وضع كميناً خارجها. وعندما نشب القتال بين الطرفين خرج الكمين فانهزم أهل ثرمداء وقتل منهم حوالي عشرين رجلاً، وقتل من جيش الدولة رجلان هما فواز الثمامي وابن غدير، وسميت هذه المعركة موقعة الصحن.[٥]

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٧٧-٧٨؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٣.

(٢) يبدو من اسمه أنه أخ لأمير ثرمداء إبراهيم بن سليمان.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٦.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٨.

(٥) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٧٥-٧٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٠١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٦.

وبعد هذه المعركة لم تتحدث المصادر المعاصرة لأحداث الدولة السعودية عن حدوث ما يدل على استمرار موقف أهل ثرمداء من الدولة مما يستنتج منه أن أهلها مالوا إلى جانب السلم وانضموا طواعية إلى الدولة السعودية.

ضم ضرما:

كانت ضرما من أوائل البلاد النجدية التي انضمت إلى الدولة السعودية عند قيامها، كما اشتركت في الحملة التي خرجت من الدرعية بقيادة الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود لمعاقبة وإخضاع بلدة ثرمداء في عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م. لكن يبدو أنه أصابها ما أصاب بعض البلاد النجدية الأخرى من إظهار العصيان تحقيقاً لمصالح معينة. ففي عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م نقض أمير ضرما، إبراهيم بن محمد ابن عبدالرحمن المريدي وهو ابن عم للإمام محمد بن سعود، العهد وخرج على إجماع الأمة الممثل في الدولة السعودية. ويبدو أن عصيانه لم يكن محاولة للاستقلال بقدر ما كان خلافاً بينه وبين مؤيدي الدعوة الإصلاحية الذين يشكلون غالب سكان ضرما في ذلك الوقت بدليل أنه لقي معارضة من أهل بلدته. وقد نتج عن هذا الخلاف كما يروي ابن غنام وابن بشر أنه قتل جماعة من أشراف جماعته وقومه ومنهم بعض الرجال المؤيدين للدعوة الإصلاحية وأخذ أموالهم. وبسبب نقضه العهد قام جماعة من أهل ضرما بقتله مع عدد من أولاده وأعوانه. وبعد ذلك عين الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود على ضرما عبدالله بن عبدالرحمن المريدي.(١)

ويبدو أن بعض أهالي ضرما تشجعوا بعد علمهم بعصيان أهل حريملاء في عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م واعتقدوا أن الوقت قد حان للانتقام من الدولة السعودية ومؤيديها في ضرما. ومن جهة أخرى فإن مقتل أمير ضرما أحدث نوعاً من الثارات بين سكان البلدة حيث حصل عصيان من بعض أهلها مما دفع المؤيدين للدولة السعودية من أهل الوشم وسدير وأهل الجنوب وآل ظفير وجلوية ضرما أن يقوموا بحصار ضرما عدة أيام واستخدموا السلالم على سورها حيث صعد حوالي ثلاثين رجلاً، لكن هجومهم لم يؤد إلى نتيجة إيجابية بل قتلوا جميعاً، ثم قتل عشرون من المهاجمين، وبذلك فشل الهجوم على ضرما.(٢)

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٦٢-٦٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١١.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٦.

وفي عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م قام صقر وإخوانه من أولاد سيف من السيايرة مغترين بقوتهم، وكان لهم يد في مقتل أمير ضرما السابق، وهموا بقتل أميرهم الجديد لكنه علم بخطتهم. ثم إنهم تطاولوا على أهل الدين وآذوهم وتعاونوا مع أعداء الدولة السعودية. وإزاء هذا الوضع اشتكى أهل ضرما إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تصرفاتهم وعدم إخلاصهم، لكنه لم يجزم بحالهم وترك الأمر لأهل ضرما كي يقيموا عليهم الحكم الشرعي بما تستوجبه تصرفاتهم، فقاموا عليهم وقتلوهم.[١] وفي نفس العام حدث تطور ضد سيادة الدولة السعودية على بلدة ضرما عندما قام رجل اسمه الغفيلي في عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م وتحصن في قصر الإمارة، وخلع البيعة للدولة السعودية، واستنجد بأمير ثرمداء إبراهيم بن سليمان الذي بادر بإرسال جيش لمساعدته. وعندما علم بذلك محمد بن عبدالله أمير ضرما أرسل إلى الدرعية بالخبر فجهز الإمام محمد بن سعود حملة سارت إلى ضرما ولحق بها أمير البلدة. وعندما اقتربوا من ضرما كمنوا في إحدى المزارع ثم التحم رجال الحملة مع أهل ضرما فدارت الدائرة عليهم وقتل منهم نحو سبعين رجلاً.[٢] وبهذه العملية الناجحة استقر الوضع في ضرما وانتظم عقدها مع بلاد منطقة الرياض تحت ظل الدولة السعودية.

وفي عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، ارتحل رئيس نجران حسن بن هبة الله المكرمي بعد فشل هجومه على بلاد الخرج ومصالحته مع الدولة السعودية، كما سيأتي الحديث عنه في موضوع ضم بلاد جنوبي نجد، إلى ضرما. وعندما علم الإمام عبدالعزيز بتوجه رئيس نجران وتوجهه إلى ضرما جهز الجيوش في كل بلد ومنها الرياض، ثم خرج الأمير سعود على رأس جيش الدولة إلى ضرما فأقام فيها أياماً، ثم قام بحملة على أهل الجنوب في العرمة، وبعدها عاد إلى ضرما وجعل فيها بعض الرجال للمرابطة. وعندما وصل رئيس نجران إلى ضرما وقع بينه وبين أهلها قتال كانت الهزيمة فيه على المهاجمين حيث ولّوا فراراً وتفرق جمعهم وقتل منهم عدد كبير وعادوا إلى أوطانهم مخذولين ذليلين. ومن أسباب فشل هذا الهجوم انعدام الثقة بين الأطراف المتحالفة، إضافة إلى اختلاف أهداف تلك الأطراف. وهناك سبب

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص١٩. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١١، أن الذين قتلوا من آل سيف من السيايرة من بلدة ضرما هم أولاد يوسف السيّاري، صقر وجار الله وغيث وعثمان وكان ذلك في عام ١١٦٦هـ.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٤-٤٥. ويذكر ابن بشر، عثمان بن عبدالله، مصدر سابق، جـ١، ص٦٩، أن عدد من قتل ستون رجلاً. ولم يذكر أيٌ من المؤرخين من هو الغفيلي أو اسمه الكامل، واكتفى بالقول أنه رجل في قصر من قصور ضرما.

قوي وهو مرض رئيس نجران مما أثر على معنويات أتباعه.[١] وفي نهاية المطاف لم يجد أهل ضرما بداً من انضمامهم إلى الدولة السعودية.

ضم القويعية:

ومن البلاد التي انضمت إلى الدولة السعودية في وقت مبكر ودون عناء بلدة القويعية حيث قام وجهاء البلدة، ومنهم ناصر بن جماز العريفي وسعود بن حمد بزيارة إلى الدرعية في عام ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م ووفدوا على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود وبايعوهما على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.[٢]

ضم بلاد سدير:

تعتبر بلاد سدير من البلاد المهمة في منطقة الرياض حالياً. ورغم أن لفظ سدير في الوقت الحاضر أصبح علماً على منطقة تضم مجموعة من البلاد المتقاربة، منها المجمعة، وهي قاعدة الإقليم، وحرمة وحوطة سدير وجلاجل وغيرها، إلا أن لفظ سدير زمن الدولة السعودية الأولى لم يكن يطلق مفرداً، وإنما كان يرد في المصادر المعاصرة للدولة السعودية الأولى مصاحباً لاسم منيخ مما يوحي بأن المقصود به في ذلك الوقت بلداً أو مكاناً واحداً وليس منطقة. أما لفظ منيخ فقد ورد في بعض المصادر أن المقصود به بلدتي المجمعة وحرمه.[٣] ولهذا فلعل المقصود بلفظ سدير في زمن الدولة السعودية الأولى، هي نفس المنطقة التي تضمها بلاد المجمعة وحرمة لكنها كانت منطقة صغيرة بحجم البلد الواحد والله أعلم. ولهذا التعريف فإن المعنى المقصود من لفظ منيخ في هذا البحث هو المجمعة وحرمه وأن لفظ سدير يعني بلداً واحداً وليس منطقة.

ضم المجمعة:

لم ترد تفاصيل كثيرة عن موقف أهل المجمعة من الدعوة الإصلاحية أو من قيام الدولة السعودية

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص١٠٦.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٤٧-٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٣.

(٣) انظر ما ورد عن منيخ في الصفحات السابقة.

الأولى بناء على الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود في عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م مما يعني ضمناً موافقتهم على الانضمام للدولة الجديدة. ولكن مواقف بعض البلدان من التأييد للدولة السعودية قد تهزه بعض الرياح القادمة من بلاد مجاورة رغباً أو رهباً. ومن هذه المواقف ما سبق ذكره، عند الحديث عن ضم حريملاء، من استنجاد أمير حريملاء السابق، ابن عدوان، بأهل المجمعة خلال عصيانه للدولة السعودية، وهذا الموقف يدل على قيام أهل المجمعة بعمل غير مباشر في تمرد ابن عدوان مما عدته الدولة السعودية من ضعف ولائهم للدولة. ولا شك أن الدولة السعودية حريصة على إظهار قوتها وهيبتها ولذلك قام الأمير عبدالعزيز في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، ضمن عدة حملات على بلاد مختلفة في منطقة الرياض، بحملة على بلاد منيخ وحصل بينه وبين أهل المجمعة قتال سقط فيه حوالي خمسة قتلى من أهل المجمعة.[١] ويبدو أن هذه الحملة حققت بعض أهدافها وهو إظهار قوة الدولة السعودية، لكنها لم تتمكن من بسط سلطتها على كل البلاد. ومن الواضح أنه لم يكن في بلد المجمعة عناصر معادية للدولة السعودية، ولهذا لم تكن الدولة في عجلة من أمر ضمها، بل تركت الأمور تجري بهدوء. وقد استمر الوضع على هذا الحال قرابة عشر سنوات قبل أن تقوم الدولة بحملة أخرى على المجمعة. ففي عام ١١٨٣هـ ١٧٦٩م قام الإمام عبدالعزيز على رأس أهل الدرعية وما حولها، كما استنفر القرى القريبة من حريملاء، ثم طلب مساعدة أهل سدير والمحمل وسار الجميع إلى المجمعة حيث وصل إلى موضع يعرف بالمكنس شرقي المجمعة وعندها وقع القتال بين الطرفين انهزم فيه أهل المجمعة وقتل منهم عدة رجال منهم إخوان شيخ المجمعة حمد بن عثمان.[٢]

ومن الواضح أنه لم تحدث مضاعفات لهذه الحملة من جانب أهل المجمعة أو من جانب الدولة السعودية بل استمر الوضع على حاله السابق حتى اقتنع أهلها بأن من مصلحتهم الانضمام إلى الدولة السعودية. ففي عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م قام وفد من أهل حرمه والمجمعة بزيارة للشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٧٨-٧٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١١٣.

وكان لهم طلب واحد وهو عدم تكليفهم بالجهاد مع الدولة حتى تستقر الأوضاع في بلادهم فأجابهم إلى طلبهم.[١] وقد أكدوا ذلك مرة ثانية عندما قاموا بزيارة للدرعية في عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م مع أهل الزلفي للسلام على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وجددوا العهد والطاعة للدولة السعودية، وكان معهم الشيخ سليمان بن عبدالوهاب، وكان قد كبر سنه، حيث طلب منه أخوه الشيخ محمد القدوم إلى الدرعية ورتب أموره وأعد له سكناً أقام فيه حتى توفي في ١٧ رجب عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م.[٢]

وفي عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م بدرت من بعض أهل سدير ومنيخ بوادر نقض العهد. ولم يذكر المؤرخون سبباً معيناً لهذه البوادر أو مدى جديتها، لكن ما روي عن نقض أمير الخرج تعهده للدولة السعودية في العام السابق كما سيأتي تفصيله، ربما كان من العوامل التي أغرت بعض سكان سدير على التفكير بنفس العمل. وعلى كل الأحوال فإن أمير بلدة حرمه تدارك الوضع قبل حدوثه فأخبر الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود فجهزا حملة إلى سدير ومنيخ، فأخذ منهم عدداً من الرجال، الذين كان يخشى منهم الفتنة، رهائن واستبقاهم في الدرعية، منهم أخو أمير حرمه، وأمير الحوطة، وأمير العودة. وفي نفس العام عزل الإمام عبدالعزيز أمير المجمعة حمد بن عثمان وعين بدلاً منه عثمان بن عثمان، وانتقل حمد بن عثمان إلى بلدة القصب.[٣] وبهذه الإجراءات الاحترازية خمدت الفتنة في بلاد سدير وانتظم عقد أهلها جميعاً تحت ظل الدولة السعودية.

ضم حرمه:

سبق أن ذكرنا موقف بلدة حرمه ومبايعة أهلها للدولة السعودية في عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، ثم تكرارهم إعلان الطاعة في عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م. لكن هل استمر ولاؤهم للدولة السعودية؟. والجواب على هذا التساؤل سلبي كما سنوضحه من خلال الأحداث التالية، على أنه يجب التأكيد على

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٦؛ ابن بشر، مرجع سابق، ص١٢٨؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، المصدر السابق، ج٢، ص ص٩٩-١٠١.

أن التعميم في مثل هذه التجاوزات والعصيان للدولة لا يخدم الحقيقة لأن كثيراً من أهل هذه البلاد وغيرها من بلاد منطقة الرياض خاصة، ومنطقة نجد عامة كانوا مقتنعين بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومؤيدين للدولة السعودية علانية في بعض البلاد وسراً عندما يتولى عليهم بعض الزعماء المتسلطين كما اتضح من خلال هذه الدراسة. وكما أوضحنا في الحديث عن ضم المجمعة عزم الإمام عبدالعزيز على القيام بحملة على بلاد الخرج بسبب نقضهم العهد. وعندما استنفر قواته في وقت لاحق من عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م قاصداً الخرج تجمعوا عنده في الدرعية، ومنهم مقاتلين من أهل حرمه. وعندما طلب منهم الإمام عبدالعزيز المسير إلى بلاد الخرج خاطب عثمان بن عبدالله أمير حرمه الإمام عبدالعزيز والشيخ محمد بن عبدالوهاب قائلاً "كيف تسيرون إلى أهل الخرج وبلدنا حرمه قد ظهرت منهم أمارات الردة، ونقض العهد وأنا لا أقدر آمر فيهم بمعروف، ولا أن أستقر عندهم على هذه الحال، إلا أن ضعضعتموهم، وأمسكتم منهم رهاين تجعلونهم عندكم في الدرعية، حتى يركد جأشي، وأصدع بالدين في البلد، وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، ولا أحاذر، فلم يزل بعبدالعزيز حتى نكس الجيش معه إلى ناحية منيخ. . . ". [١] استجاب الإمام عبدالعزيز لطلب أمير حرمه وأمر بقيام حملة بقيادة عبدالله بن محمد بن سعود فساروا بالليل حتى وصلوا حرمه بالليل وأهلها نيام ففرق عبدالله المقاتلين على الأبراج في البلد وفي الأسوار وعلى الدور وعلى أبواب القلعة. وفي الصباح أطلقوا رصاص البنادق دفعة واحدة فارتجت الأرض وفزع الناس وخرجوا يسألون عن السبب فقال لهم الأمير عبدالله "لا بأس عليكم ولكن أميركم عثمان ذكر عنكم أشياء توجب المخالفة والحذر على نفسه منكم وعدم القدرة على إنفاذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلدكم، ولا يستقر له قرار إلا برهاين من كباركم نأخذهم معنا حتى تكف السفهاء شرها". [٢] فلما رأى أهل البلد ذلك قدموا له بعض الرجال كرهائن خرج بهم إلى الدرعية. وفي طريقه استلحق أمير الحوطة وأمير العودة وأخذهما معه إلى الدرعية لأنه تحقق من ممالأتهم لأهل حرمه على ما هموا به من نقض العهد.

وفي وقت لاحق من هذه السنة تمالأ بعض أهل حرمه بزعامة جاسر الحسيني، وبمساعدة من سويد ابن محمد وآل ماضي على قتل أميرهم عثمان بن عبدالله. وتعزز موقفهم بمساعدة أمير المجمعة حمد بن

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٣١-١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٣٢.

عثمان سراً. وسبب هذا التآمر وتلك الممالأة من الآخرين أن المؤيدين للدعوة الإصلاحية في المجمعة كانوا يترددون على عثمان وأتباعه في حرمه ويتذاكرون معهم العلوم الشرعية فخطط أهل حرمه لخطف هؤلاء الزوار من أهل المجمعة إذا دخلوا حرمه. ليس هذا فحسب بل خططوا لقتل أميرهم ثم الذهاب إلى المجمعة والإمساك بزمام الأمور فيها مع رئيسها المتعاون معهم سراً، ثم القبض على كبار أهلها المعارضين له. وقد نفذ المعتدون خطتهم وقتلوا عثمان واعتقلوا أهل المجمعة القادمين لزيارتها. وبعد ذلك أسرع المعتدون إلى المجمعة ليضبطوها فلما وصلوا إلى قلعتها أغلق حمد التويجري ورجاله الباب عنهم فأخذوا ينادون أميرها حمد بن عثمان وهم خلف الباب فلم يجبهم لأن الله أمسك لسانه ويده فوقع فيهم الفشل. وبذلك فشلت خطة المعتدين ورجع أهل حرمه إلى بلادهم.

أما أهل المجمعة فقد انتدبوا عثمان بن حمد التويجري إلى الإمام عبدالعزيز في الدرعية يخبرونه بما جرى فأعد حملة كبيرة بقيادة الأمير سعود وتضم أهل بلدان العارض والوشم وسدير من الركبان والمشاة. وعندما وصل سعود إلى حرمه نزل قرب برج الماقف المعروف عند نخل الظاهرية حيث حصل بينه وبين أهل البلاد قتال لعدة أيام ثم صالحهم سعود على إطلاق الأسرى المحتجزين عندهم، وأن يرحل جاسر الحسيني عن البلد مقابل أن تطلق الدولة السعودية الرهائن الذين سبق أن نقلوا إلى الدرعية فتم الاتفاق على ذلك. وبعد ذلك عيّن الأمير سعود ناصراً بن إبراهيم أميراً عليهم، كما عيّن على المجمعة عثمان بن عثمان، وأمر بعض الزعماء بالانتقال مع عوائلهم إلى الدرعية، كما عيّن الأمير سعود عبدالله بن جلاجل أميراً على بلدة جلاجل ثم عاد إلى الدرعية.(١)

ولم تنته محاولات المعارضين من أهل حرمه للدولة السعودية. ففي بداية عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م نقض بعض أهل حرمه العهد واتفقوا مع أهل الزلفي على العصيان، ثم أرسلوا إلى سعدون بن عريعر زعيم بني خالد وأتباعه من البوادي لمهاجمة المجمعة وكانوا يعلمون أنهم لن يستطيعوا الاستقرار في حرمه ما لم يستولوا على المجمعة التي كان فيها حامية للدولة السعودية. ولتنفيذ مأربهم احتال أهل حرمه لدخول المجمعة بأن ارتدوا لباس النساء، واستطاعوا أن يمسكوا بروج النخيل، ثم قدم عليهم أهل الزلفي بقوتهم، وسعدون بالجيش الكبير من بني خالد. نزلت تلك الجموع المعادية وسط النخل

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٣٣-١٣٦.

وحاصروا أهل البلد وبنوا أبواب القلعة بالطين لمنع المدافعين من مغادرتها، واستمروا على محاصرتها عدة أيام. فلما ضاق أهل البلد ذرعاً من الحصار وهمّوا بطلب الصلح خطرت عليهم فكرة ذكية للتخلّص من الحصار حيث أرسلوا إلى سعدون يطلبون مهلة يومين لإجراء المصالحة، وكانوا يطمعون أنه خلال هذه المدة سيأتيهم المدد من الإمام عبدالعزيز. وكان في بلدة جلاجل حسن بن مشاري بن سعود ومعه قوة من أهل العارض وسدير، وكان في ذلك الوقت يتداول الرأي من أجل إرسال مدد لأهل المجمعة. وقد أرسل عدة رجال بالليل في مخاطرة واضحة بسبب إحاطة الأحزاب بالمدينة، لكن الله أعمى أبصارهم حيث سارت الحملة بالليل وتسللت من بين الجموع حتى وصلت إلى القلعة وألقوا إلى أتباعهم الحبال فصعدوا إليهم وقت الفجر. وعندما علم سعدون وأتباعه أيقن أنهم لن يستطيعوا النيل من المحاصرين. وفي المقابل بدأ التذمر في صفوف أهل البادية فرحلوا عن المجمعة، كما رجع أهل الزلفي إلى بلدهم فاقتصرت الحرب بين أهل حرمه والمجمعة.

أما موقف الدولة السعودية في ذلك الوقت فكان الترقب والانتظار عما ستسفر عنه جهود الحامية السعودية والموالين لها. وعندما تفرقت الجموع أعد الإمام عبدالعزيز حملة بقيادة أخيه عبدالله حيث سار إلى بلاد منيخ ونازل أهل حرمه حيث قتل منهم عدة رجال. وفي مرحلة أخرى قام الأمير سعود بحملة كبيرة، كما استلحق أهل البلدان واتجه إلى حرمه وحاصرها وقطع بعض نخيلها عقاباً لأهلها، وظل يقاتلها صباحاً ومساء حتى وصل إلى القلعة وحاصرها. ولما اشتد عليهم الحصار ألقى الله في قلوبهم الرعب فطلبوا من الأمير سعود الصلح. يقول ابن بشر في ذلك "فأبى عليهم إلا أن تكون بيت مال، أو يزيل ما في البلد من المحذور ومن الرجال وغيرهم، فصالحه أهلها على ما في بطن الحلة والأموال" فلما تم الصلح كتب سعود إلى أبيه بذلك فرد عليه الإمام عبدالعزيز أن أهل هذه البلاد تكرر منهم نقض العهد، ولذلك فإنه يجب عقابهم وطلب منه هدمها، فأمر سعود بهدم سورها وبعض بيوتها، كما أمر أناساً من أهلها ممن أثاروا الفتنة والشر بالرحيل عنها فارتحل كثير منهم ونزلوا المجمعة والزلفي، وبذلك قضى على هذه الفتنة التي تزعمها بعض المناوئين للدولة السعودية وعادت حرمه إلى وضعها السابق موالية للدولة السعودية.[١]

---

(١) للمزيد من المعلومات عن أحداث حرمه راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٠٣-١٠٤، ١٠٥-١٠٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٣٧-١٣٩.

ضم الروضة:

وضمن حملات الدولة السعودية لإخضاع بلاد منطقة الرياض سار الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى جهات سدير وقام بحملة على بلدة الروضة في سنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م. ومع أنه لم يكن مستعداً للقتال إلا أنه حصل بينه وبين أهل الروضة قتال سقط فيه من أهلها خمسة رجال وقتل من جيش عبدالعزيز رجل واحد هو شهيل بن سحيم.(١) ولم يحدث بعد ذلك ما يستدعي قيام الدولة بإرسال حملة إلى بلدة الروضة. وبعد فترة طويلة من الهدوء في هذه البلدة عادت إليها الأحداث في عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م عندما ارتحل إليها سعدون بن عريعر، زعيم بني خالد، الذي كان في حملة للاستيلاء على القصيم.

ولتتقي الدولة السعودية شر سعدون بن عريعر أدركت أهمية ولاء بلاد سدير وعدم إفساح المجال لابن عريعر في إغراء بعض الخارجين على الدولة في هذه البلاد. وقد صادف مجيء ابن عريعر وجود الأمير سعود في بلدة ثادق فارتحل منها إلى الروضة لكي يضمن ولاءها للدولة. وقد اضطر في سبيل هذا الهدف إلى قتال أهلها والاستيلاء على نخيلها إلا ما حمته بروج القلعة، فاضطر أهلها المتحصنون في البروج إلى النزول منها. وعند ذلك أدرك أهل البلدة استحالة مقاومتهم طويلاً فأرسلوا إلى الأمير سعود يطلبون المصالحة، وقد استعدوا أن يبذلوا مالاً كثيراً نكالاً، فصالحهم على ما فيها من الأموال، وأن يرحل زعماء البلدة وأعوانهم منها، وأن يأمن أهلها على أموالهم ونخيلهم. وخلال شهر تم تنفيذ هذه الشروط، ثم دانت بلدة الروضة للدولة السعودية ودخل الأمير سعود البلدة بعد أن أجلى عنها من يشك في ولائه من زعمائها، ثم بايعه أهلها على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وقبل عودته عين عليهم أميراً عبدالله بن عمر البدراني.(٢)

ضم الحوطة والجنوبية:

ومن ضمن البلاد التي حاولت الدولة أن تضمها إليها بلدتي حوطة سدير والجنوبية وذلك عام

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١٧-١١٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٥١-١٥٢.

١١٧١هـ/ ١٧٥٧م حيث قام الأمير عبدالعزيز بحملة إلى سدير وقصد بلدتي الحوطة والجنوبية، وقد استطاع أن يستعيد نفوذ الدولة فيهما بعد أن أعطى أهلها الأمان وعين في كلتا البلدتين أميراً وإماماً.[١] ومنذ ذلك الوقت لم يذكر المؤرخون المعاصرون لأحداث الدولة السعودية أية إشارة إلى حدوث عصيان أو تذمر من أهل الحوطة أو الجنوبية يستدعي قيام الدولة بحملات عسكرية عليهما. وفي عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بحملة على حوطة بني تميم فوصلها ليلاً ووضع كميناً خارج البلدة، وفي الصباح نشب القتال بين جيش الدولة وأهل الحوطة وعندها خرج الكمين فدارت الدائرة على أهل الحوطة وقتل منهم خمسة عشر رجلاً ومن جيش سعود بعض الرجال، منهم بطي المطيري.[٢] ويبدو أن الحملة السابقة لم تؤد الهدف المنشود منها وهو إخضاع الحوطة فقام الإمام عبدالعزيز نفسه بحملة كبيرة قاصداً حوطة بني تميم وذلك في عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م على رواية ابن بشر أو ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م، على رواية ابن غنام. وعند وصوله إليها التقى مع أهلها حيث انهزموا وقتل منهم حوالي خمسة عشر رجلاً وقطع النخل المسمى بالرحيل، ثم حاصر أهلها وألجأهم إلى الاحتماء داخل البلدة وبقوا على ذلك عدة أيام.[٣] ويبدو أن هناك علاقة بين هذه الحملة والحملة التي قام بها الأمير سعود على بلدة الروضة في بلاد سدير خلال وجود عريعر بن دجين في هذه البلاد، كما أوضحنا في الحديث عن ضم بلدة الروضة، والهدف هو دعم نفوذ الدولة في هذه المناطق، وإظهار مدى قوة الدولة السعودية، والحيلولة دون استغلال عريعر لانشغال الدولة في مناطق أخرى من بلاد منطقة الرياض، مثل الخرج، في هذا الوقت. وعلى العموم فإنه لم تحصل مجابهة بين جيش الدولة السعودية وجيش عريعر. وبعد ذلك انضمت بلدة الحوطة إلى الدولة السعودية كغيرها من بلاد منطقة الرياض.

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٨؛ وانظر كذلك: المعجل، عبدالله بن عبدالكريم، (١٤١١هـ)، **حوطة سدير**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٣١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٤٧.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٤١-١٤٢؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١١-١١٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٤.

ضم جلاجل:

وضمن حملات قامت بها الدولة السعودية على بلاد مختلفة في منطقة الرياض لضمها إلى الدولة، قام الأمير عبدالعزيز بحملة على بلدة جلاجل في سدير في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م وقابل أهلها في مكان يعرف بالعميري وحصل بينه وبينهم قتال ثم رجع. ويبدو أن هناك شعوراً عاماً لدى أهل جلاجل بأهمية ارتباطها بالدولة السعودية، وهذا ربما يفسر ما حصل من اصطحاب الأمير عبدالعزيز معه قضاة بعض بلاد سدير مثل الروضة والداخلة والحوطة لمقابلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[١] ولم يعرف ماذا كانت نتيجة هذا الوفد لكن ما حصل في العام التالي ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م يدل على أن الدولة ماضية في سياستها لإخضاع البلاد النجدية مهما كانت النتيجة، وكانت الدولة تكتفي في أحيان كثيرة بالقيام بحملات عسكرية لإظهار قوة الدولة دون أن تلجأ إلى دخول البلاد عنوة. ففي هذا العام سار الأمير عبدالعزيز على رأس حملة قاصداً سدير حيث هاجم بلدة جلاجل ثم حصل بينه وبين أهلها معركة قتل فيها من أهل جلاجل حوالي ستة رجال.[٢]

ودخل عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م في وقت كانت الحملات العسكرية للدولة السعودية هادئة، وألد أعداء الدولة دهام بن دواس قد مال إلى الرضوخ والمبايعة للدولة، الذي تبين فيما بعد أنها حيلة من حيله الكثيرة، فاستغلت الدولة هذا الوضع الهادئ وقام الأمير عبدالعزيز بحملة على بلدة جلاجل حيث نزل في المكان المعروف بالعميري شمال البلدة، ثم بدأ بقطع نخيلهم فقاموا لقتاله حيث حصل بينه وبين أهل البلدة قتال هزموا فيه، وقد قتل منهم حوالي عشرة رجال.[٣] ومع مرور الوقت أدرك أهل سدير ومنهم أهل جلاجل أن عداوتهم للدولة السعودية وخروجهم عليها لا طائل من ورائه بل سببت لهم المشكلات وعدم الاستقرار فقرروا الانضمام إلى الدولة السعودية طواعية. ففي عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م بايع أهل

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥٠-٥١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥٢-٥٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٨؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٣-٦٤؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٩١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٥.

سدير، ومنها بلدة جلاجل، الإمام عبدالعزيز على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وقد دفع أمير جلاجل سويد بن محمد خمساً من الخيل نكالاً. وبقي أميراً هناك حتى عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م حيث عزله الإمام عبدالعزيز وعين مكانه ضويحي السويد، ثم انتقل سويد إلى شقراء فأقام فيها إلى أن استدعاه الإمام عبدالعزيز.[١]

ضم العودة:

مرّ الأمير عبدالعزيز ببلدة العودة في أثناء حملته على بلدة جلاجل عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م واستلحق من أهلها عثمان بن سعدون ومنصور بن عبدالله بن حماد لخوفه من منازعتهما أميرها وذهب بهما معه إلى الدرعية. وبعد أن استقرا هناك اعتقد أمير بلدة العودة عبدالله بن سلطان أنهما تابا وندما على معارضتهما فطلب من الشيخ محمد بن عبدالوهاب العفو عنهما والسماح لهما بالرجوع والمقام عنده في بلدهما. وبعد عودتهما بمدة محدودة تمردا على أمير العودة وقتلوه مع بعض أعوانه وتولى مكانه عثمان بن سعدون. وقد أعلن سعدون العصيان على الدولة السعودية، بل وجاهر بعداوة مؤيدي الدعوة الإصلاحية في بلاده وخارجها واستمر على ذلك حولي عشر سنوات حتى قتل.[٢]

وفي عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م خرجت حملة من الدرعية بقيادة هذلول بن فيصل قاصدة بلدة العودة في سدير، وكان يرافق الحملة الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد وهو صغير وهي أول حملة يشترك فيها. وكان يرافق الحملة أيضاً آل سلطان وهم زعماء العودة الذين أجلاهم ابن سعدون الذي سبق أن أعلن العصيان على الدولة السعودية. وقد طلب منصور بن عبدالله بن حماد من الحملة مساعدته لمقاتلة ابن سعدون. وعندما وصلت الحملة إلى العودة وضعوا كميناً في غربي البلدة ثم أغاروا عليها من جهة الشرق. وعندما خرج أهل البلد جميعاً من الشرق بقي ابن سعدون مع نفر من أعوانه، ثم خرج منصور ومن معه وأدخلوا الكمين في البلدة. وعندما علم ابن سعدون دخل قصره وأغلق عليه الباب فهاجمه

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٠٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، المصدر السابق، ج٢، ص٥١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٦. يذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٦ ضمن حوادث سنة ١١٨١هـ، أن عثمان بن سعود الدوسري قتل أمير بلدة العودة واستولى عليها منصور بن حماد.

منصور ومن معه ونقبوا فتحة من خارج السور وقتلوه، وبذلك تمكن رجال الحملة السعودية من دخول البلدة. وكان منصور قد طلب من الإمام عبدالعزيز أن يعينه أميراً على العودة إذا تمكن من مساعدة جيش الدولة في دخولها. وقد تحقق له ذلك حيث عين أميراً.[١].

ضم الزلفي:

ومن أوائل البلاد في منطقة الرياض التي سعت الدولة السعودية إلى ضمها مبكراً الزلفي. ففي عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م قاد الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود حملة ضد الزلفي لإخضاعها وضمها إلى الدولة السعودية، وبعد وصوله إلى الحسي مرض عبدالعزيز ورجع إلى الدرعية وأمّر على الجيش عبدالله بن عبدالرحمن، وقد وصلت الحملة إلى الزلفي وقامت بالهجوم عليه لكن لم يحصل مجابهة مع أهل البلد.[٢] وقد يرد تساؤل عن السبب الذي جعل الدولة السعودية تبادر إلى توجيه حملة لضم الزلفي في وقت كانت الدولة ما تزال في بداية تكوينها، وكانت تواجه أخطاراً كبيرة من بلاد قريبة من عاصمتها الدرعية مثل الرياض والعيينة وحريملاء ومنفوحة. والواقع الذي تؤيده السياسة الحربية للدولة السعودية الأولى كما اتضح من خلال المباحث السابقة تدل على أن أغلب حملات الدولة لم يكن المقصود منها ضم البلاد بالقوة بقدر ما كانت الدولة تهدف إلى إظهار قوتها، وتهيئة الأجواء لانتشار الدعوة، ولإظهار قدرتها على الوصول إلى من تريد مهما بعدت بلادهم، كما أشرنا إلى ذلك من قبل. ولا شك أن هذه الحملة على الزلفي تدخل ضمن هذه الاستراتيجية بدليل أن الدولة لم تكرر الحملة على الزلفي إلا بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ. يضاف إلى ذلك أن الوضع الأمني في الزلفي لم يكن حرجاً ولم يتعرض الأهالي، وخاصة المؤيدون للدعوة الإصلاحية، إلى أي مضايقة تجعل الدولة تبادر إلى نصرتهم. وعلى العموم فإن من الملاحظ أن حملات الدولة السعودية على الزلفي لم تكن حملات كبيرة، وفي المقابل لم تكن مقاومة أهل الزلفي من القوة كما حصل في بعض البلاد التي جابهت الدولة بعنف ومدة طويلة.

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٠٢-١٠٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١١.

وفي عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م سار الأمير عبدالعزيز إلى الزلفي لمعاقبتهم ففزعوا منه فتركهم.[١] وبعد ثمان سنوات قام الأمير سعود بن عبدالعزيز في عهد أبيه بحملة على الزلفي في عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م حيث حصل بينه وبين أهلها قتال سقط فيه من أهل الزلفي ثلاثة قتلى، وهي أول حملة يقودها الأمير سعود بنفسه.[٢] وفي عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م بعث الأمير سعود حملة صغيرة إلى الزلفي تحت قيادة عدامة بن سويري من بني حسين فصادفوا غزواً لأهل الزلفي خارجاً من البلد فقاتلهم وانتصر عليهم.[٣] ومن خلال هذه الحملات الثلاث يتبين مدى ضعف مقاومة أهل الزلفي، وعدم وجود مناوئين للدولة السعودية فيها، ولهذا نشط دعاة الإصلاح المؤيدين للشيخ محمد بن عبدالوهاب والحريصين على وحدة البلاد النجدية تحت قيادة الدولة السعودية الأولى. ونتيجة لجهود هؤلاء المصلحين، ورغبة من أهل الزلفي في الدخول في طاعة الدولة السعودية قدموا مع أهل منيخ في عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وقد تعززت مكانة الدولة السعودية الأولى بانضمام منطقتين مهمتين في منطقة الرياض.[٤]

وعلى الرغم من دخول الزلفي في طاعة الدولة السعودية إلا أنه حصل من بعض أهلها مخالفة وفساد فعزمت الدولة على تطهير البلاد من أية شائبة قد تنمو إذا لم تجتث من جذورها. ففي بداية عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م قام الأمير سعود بن عبدالعزيز على رأس حملة إلى الزلفي، وقد عرف الأهالي عن الحملة قبل وصولها فاستعدوا، ثم حصل بينه وبين أهلها قتال سقط فيه عدد من القتلى من الجانبين. وفي فترة لاحقة من هذا العام قام الأمير عبدالله بن محمد بن سعود بحملة على الزلفي، لكن حملته

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٥؛ المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، **الزلفي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٢٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٠٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٣؛ المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٨؛ المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، المرجع السابق، ص ٢٤.

فقدت عامل المفاجأة بسبب وصول أخبارها إلى أهل الزلفي. وعندما وصل عبدالله حصل بينه وبين أهلها مناوشات ثم قفل راجعاً من حيث أتى.[١] وفي آخر هذا العام خرجت حملة إلى الزلفي وأشعلوا النار في زروعه. وبعد هذه الحملات المكثفة أدرك المخالفون من أهل الزلفي عدم قدرتهم على الوقوف أمام قوة الدولة فوفدوا جميعاً على الإمام عبدالعزيز وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.[٢]

ضم بلاد جنوبي نجد:

عرفنا من خلال ضم بلاد العارض القريبة من الدرعية مدى الجهود المضنية التي بذلتها الدولة السعودية الأولى في سبيل توحيد بلاد منطقة الرياض وغيرها من مناطق نجد. وكان هدفها نشر الدعوة الإصلاحية في عامة بلاد نجد، وتوحيد هذه البلاد في بوتقة واحدة تحت مظلة حكومة قوية. وبعد قيام الدولة السعودية أصبح هذا الهدف هو الشغل الشاغل لكل من الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وهو الأساس الذي قامت عليه هذه الدولة. وقد استغرق ضم هذه البلاد حكم الإمام محمد بن سعود كله وشطراً من حكم ابنه الإمام عبدالعزيز. ومن المناطق المهمة التي بذلت فيها الدولة السعودية الأولى جهوداً مضنية وحملات عسكرية متكررة هي منطقة جنوبي نجد، وخاصة بلاد الخرج حيث عانت الدولة من أمير الخرج زيد بن زامل معاناة شديدة أشبه بمعاناتها مع دهام بن دواس أمير الرياض وإلى حد ما أمير العيينة عثمان بن معمر كما أسلفنا. ولا شك أن تمكن الدولة السعودية من إخضاع الرياض وما جاورها من بلاد كان دافعاً قوياً لكي تركز جهودها لإخضاع بلاد جنوبي نجد.

وباستقراء الأحداث يمكن أن نلاحظ أن منطقة جنوبي نجد تضم عدداً من البلاد التي كان ولاؤها للدولة السعودية متذبذباً نتيجة ظروف متعددة، منها العداوة للدعوة الإصلاحية وصاحبها، ومنها حب الزعامة والنفوذ، ومنها خوف البلاد الصغيرة من تسلط البلاد الكبيرة، ومنها التدخل الخارجي. كل تلك العوامل وغيرها جعلت الدولة تواجه قوى متفرقة ومفككة، لكنها مع ذلك لا تستقيم على موقف ثابت من حيث ولائها للدولة، بل كانت تتحين الفرص لاستغلال مواقف موالية أو معادية للدولة. أما

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٠؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢١.

الدولة السعودية فقد حملت على عاتقها ضم هذه البلاد المتفرقة لمصلحة هذه البلاد أولاً، ثم لقيام دولة مرهوبة الجانب قوية النفوذ أمام أطماع القوى المجاورة مثل الأشراف في الحجاز وبني خالد في شرقي الجزيرة. ومن أجل هذا الهدف قامت الدولة بعدد من الحملات العسكرية لضم تلك البلاد، لكنه كان جهداً شاقاً استغرق منها وقتاً طويلاً.

وقد ذكرنا في أكثر من مناسبة، أن حملات الدولة السعودية في بداية تكوينها كانت متواضعة، ولا تدل على عزم الدولة السعودية على ضم هذه البلاد بالقوة في هذا الوقت بسبب انشغالها بقوى عنيدة مثل الرياض وحريملاء وغيرها. ولذلك فإن الهدف من تلك الحملات هو معرفة تلك البلاد وأهلها، ومدى تقبلهم للدعوة الإصلاحية، وعن شعورهم نحو الدولة السعودية ورغبتهم الانضمام إليها. ولا شك أن الحملات التي قامت بها الدولة السعودية على بلاد الخرج في هذا الوقت المبكر تدخل ضمن هذه الاستراتيجية.

كانت أول حملات الدولة السعودية الأولى على بلاد جنوبي نجد حدثت عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م عندما خرجت قوة بقيادة مشاري بن معمر قاصدة بلاد الخرج[١] لمعرفة مدى قوة هذه البلاد حيث أخذوا أغناماً لأهل الدلم ورجعوا فلحق بهم أهل البلدة ووقع بينهم قتال شديد في الحاير. ورغم عدم تكافؤ الفريقين، حيث كان عدد أفراد الحملة السعودية نحو أربعين رجلاً بينما كان عدد أهل الخرج نحو مائة رجل، إلا أن رجال الحملة السعودية صبروا، ثم جرى بينهم قتال بالبنادق انهزم فيه أهل الخرج وقتل منهم نحو ثلاثين رجلاً على رواية ابن غنام، وسبعين على رواية ابن بشر.[٢] وضمن عدد من الحملات التي قامت بها الدولة السعودية في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م على بلاد نجد مثل منفوحة وثرمداء ومنيخ وثادق، قام الأمير عبدالعزيز بحملة على الدلم في بلاد الخرج حيث وقعت معركة بين الجانبين قتل فيها

---

(١) الخرج منطقة في بلاد نجد، وهي بلاد مشهورة ورد ذكرها في معاجم البلدان، وهي تقع جنوب الرياض وتبعد عنها حوالي ٨٥ كيلو متراً وتشتهر بالنخيل والمزارع. وهي تشمل بلداناً وقرى كثيرة متقاربة، منها الدلم وهي قاعدة الخرج قديما، والسيح وهي قاعدة الخرج في الوقت الحاضر. ومن القرى نعجان، زميقة، المحمدي، الهياثم، السلمية، الوسيطة، العذار، الرغيب، اليمامة، القرين، الضبيعة، مشيرفة، فرزان. انظر تفاصيل وافية عن منطقة الخرج في القديم والحديث في: ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٧١-٣٧٩.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٥.

من أهل الدلم ثمانية رجال. وفي طريق عودتهم قاتلوا أهل بلدة نعجان فهزموهم وقتل منهم عدة رجال. وفي عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م في طريق عودته من حملة قام بها إلى بلدة ثادق، قام الأمير عبدالعزيز بحملة على الدلم والخرج حيث نشبت هناك معركة كان النصر فيها للدولة السعودية.(١) ويبدو أن السبعينات من هذا القرن الهجري شهدت كثافة في الحملات السعودية المتفرقة على بلاد نجد. ففي عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م قام الأمير عبدالعزيز بحملات على بلاد منفوحة وبلدتي ثرمداء ومرات في الوشم وكذلك بلدة الفرعة، وقد كان النصر حليف الدولة السعودية في هذه الحملات مما كان له تأثير مادي ومعنوي على المقاتلين في جيش الدولة، ولهذا فعندما قام الأمير عبدالعزيز بحملة على بلدة نعجان في بلاد الخرج كان النصر حليفه أيضاً. وقد أسفرت هذه الموقعة عن عدد من القتلى في جانب أهل بلدة نعجان، كما حاصرهم عدة أيام ثم عاقبهم جزاءً لموقفهم من الدولة.(٢)

وكما لاحظنا فإن تلك الحملات كانت محدودة القوة، وكان طابعها إظهار قوة الدولة. أما الحملات المنظمة لإخضاع بلاد جنوبي نجد، وخاصة الخرج، فقد بدأت بعد أن تمكنت الدولة السعودية من إخضاع الرياض في عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م حيث أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى زيد بن زامل رئيس بلد الدلم يلومه على نقض العهد لكن زيداً لم يرد عليه، بل إنه تمادى في عداوته وبدأ يؤلب المعارضين للدولة على العصيان، كما أنه استعان برئيس نجران، حسن بن هبة الله المكرمي، في عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م مرة ثانية واستحثه على القدوم لمساعدته وبذل له الأموال. ولحرصه على مساعدة صاحب نجران استجاب زيد لمطالبه عندما طلب أموالاً كثيرة فاضطر إلى دفعها له، وقد قدرت بثلاثين ألف زر معجلة.(٣) وفي نفس العام قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بحملة على الدلم لمعاقبة

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٦.

(٣) الزر: نوع من العملة بمنزلة الريال، وهي عملة ذهبية عثمانية، ويطلق عليه (زر محبوب). وقد شاع استعمال هذا النوع من النقود في معظم البلاد العربية الواقعة تحت الحكم العثماني أو المجاورة لها. محمد، عبدالرحمن فهمي، (١٩٦٤م)، **النقود العربية ماضيها وحاضرها**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص ص١١٦-١١٧.

رئيسها على أفعاله المعادية للدولة السعودية، وعندما وصلها في الليل وضع كميناً وأعد فرقة من جيشه لمهاجمة البلدة. وفي الصباح بدؤوا الهجوم بأن أخذوا أغنام أهل البلد فخرجوا عليهم والتحم الفريقان، ثم خرج الكمين الذي أعده سعود فانهزم أهل الدلم وقتل منهم نحو عشرة رجال.(١)

ولا شك أن الظروف العامة كانت تسير لصالح الدولة؛ فقد شهدت هذه الفترة نهاية عصيان الرياض لصالح الدولة السعودية حيث ارتفعت معنويات جيش الدولة واقتنع أهل بعض البلاد التي كانت مترددة بقوة الدولة حيث وفدوا إلى الإمام محمد بن سعود معلنين الطاعة مثل أهل بلاد الحريق وحرمه والمجمعة، كما أن الدولة السعودية استفادت من هذه الظروف للقيام بحملات على بلاد أخرى في نفس العام مثل الزلفي كما سبق أن ذكرنا. وقد استمرت هذه المعنويات العالية للقوات السعودية في العام التالي ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م أيضاً فاستفادت الدولة من هذه المعنويات العالية لدى جيشها للقيام بحملات قوية على بلاد جنوبي الرياض؛ حيث قام الإمام عبدالعزيز بحملة على منطقة الخرج فقاتل أهل بلدة الضبيعة وأخذ سارحتهم ثم وضع كميناً خارجها. وعندما خرج عليه أهل البلدة والتحموا معهم في القتال خرج عليهم الكمين فانهزموا وحاصرهم جيش الدولة وقتل منهم اثني عشر رجلاً وقطع بعض نخيلهم. وقد قتل في هذه المعركة من جيش الدولة ثمانية رجال.(٢)

وفي فترة لاحقة من عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، وبناء على الاتفاق السابق بين زيد بن زامل ورئيس نجران، قدم الأخير لمهاجمة الدولة السعودية، وقد استنفر أعوانه من قبائل يام والدواسر من أهل الوادي، ثم انضم إليهم أهل الخرج وما حولها فأصبح جمعهم كبيراً كما وصفه ابن بشر بقوله "جموع تضيق بها القفار ولا تسقيهم الآبار والأنهار". كما تلقى المعتدون كثيراً من الأموال ممن لهم مصلحة بعداوة الدولة السعودية ومنهم بطين بن عريعر، زعيم بني خالد في الأحساء، الذي دفع مبلغاً يزيد على ستة آلف مشخص وأحمالاً من الطعام. وفي حاير سبيع تجمع المعتدون وحصل بينهم وبين أهلها قتالاً شديداً. ورغم بوادر النصر للجيش المعادي، إلا أنه مني في هذه المعارك بخسائر كبيرة ووقع منهم نحو أربعين قتيلاً مما أدى في النهاية إلى فشل حملة رئيس نجران، واضطراره إلى مصالحة الدولة السعودية،

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٨٩-٩٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٢٢-١٢٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٠.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٩٠-٩١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٤.

ثم رحل إلى ضرما. ويبدو أن من أسباب فشل هذه الحملة حدوث المعارك بين النخيل مما زاد من معاناة الجيش الغازي حيث إنهم لم يتعودوا القتال في مثل هذه المواقع، بالإضافة إلى انعدام الثقة بين الأطراف المتحالفة، واختلاف أهداف تلك الأطراف. وهناك سبب جوهري وهو ارتفاع معنويات جيش الدولة بعد تمكنه من القضاء على تمرد أمير الرياض، دهام بن دواس.(١)

ولاشك أن فشل حملة صاحب نجران يعتبر نصراً ميدانياً ومعنوياً للدولة السعودية، وضربة قوية لكل أعداء الدولة وبخاصة زيد بن زامل مما جعله يرضخ للسلام، لكنه كان يخفي ما لا يظهر كما سنلاحظه فيما بعد. ففي أواخر سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م قدم زيد بن زامل مع أعيان من قومه على الإمام عبدالعزيز في الدرعية فجأة دون أن يأخذ لنفسه الأمان ولم يسبق قدومه مفاوضة. وعندما وصلوا إلى الدرعية قابلوا الإمام عبدالعزيز وبايعوه على السمع والطاعة والتزموا بإقامة أحكام الشريعة الإسلامية في بلادهم. وقد طلب منهم الإمام عبدالعزيز أنواعاً من الأسلحة والخيل فصبروا بها، ثم أرسلها زيد إلى الدرعية لاحقاً، لكن الإمام عبدالعزيز أخذ بعضها ورد البعض ترغيباً لزيد وتأليفاً لقلبه.(٢)

ولم يطل عهد زيد بن زامل طويلاً، ففي العام التالي ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م نقض العهد الذي قطعه على نفسه وقتل فوزان بن محمد أمير بلدة نتيقة في الدلم الموالي للدولة السعودية بعد أن طالبه بإقامة شرائع الدين. وعندما علم الإمام عبدالعزيز غضب عليه وقام بحملة ضده وحاصره طويلاً حتى خرج زيد من البلاد هارباً مع ابنه، ثم صالح الإمام عبدالعزيز أهل الدلم وأعطاهم الأمان، ثم بايعوه على دين الله ورسوله وعيّن عليهم أميراً هو سليمان بن عفيصان.(٣)

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٢٥-١٢٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص١٠٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٤. وقد قال زيد بن زامل في هذه المناسبة قصيدة انظر بعض أبياتها في: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣)، **الخرج**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٤٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٩٢.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٩٤-٩٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٧.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٨؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٥.

وبعد انهزام أهل اليمامة، كما سنرى في موضوع ضم اليمامة، نقض أهل الدلم العهد مع الدولة السعودية وأرسلوا إلى زيد بن زامل، لكنه كان يخشى عقاب الدولة السعودية بعد أن جرب القتال معها وعرف استماتة رجال الدولة في الدفاع عنها، لكن زيداً أرسل إليهم ولده وقدم على أخواله من أهل الدلم، ثم أرسل أهل الدلم يستنجدون بآل مرة القريبين منهم. وعندما علم أهل اليمامة بهذا التجمع المعادي للدولة السعودية انضموا إليهم. ثم اتجهت تلك الجموع المعادية لمقاتلة أهل السلمية المؤيدين للدعوة الإصلاحية والدولة السعودية، حيث هاجموهم على حين غرة دون علم بخيانتهم وغدرهم ودخلوا عليهم في وسط بلادهم وقتلوا من أهل السلمية حوالي عشرين رجلاً، بينما هرب أكثرهم مع أميرهم سليمان بن عفيصان وتفرقوا في بلاد الخرج. ثم احتشدت تلك الجموع في الدلم، وعندما جاء الخبر إلى زيد أسرع إليهم في الدلم، كما انضم إليهم أيضاً حسن البجادي رئيس اليمامة واتفق الجميع على الخروج على الدولة السعودية مستفيدين من انشغال الدولة السعودية بحملة على قبائل آل مرة.

ومن الملاحظ أن موقف أهل الخرج من الدولة السعودية قد نحا منحى خطيراً بتحالفهم مع البلاد المجاورة مثل اليمامة، وبهذا دخلت فترة التسعينات من هذا القرن الهجري وتمرد أهل الخرج على أشده. وقد استوجب هذا التحول في العمليات الحربية تكثيف الدولة السعودية من حملاتها على بلاد الخرج كماً وكيفاً. فعندما علم الإمام عبدالعزيز في نفس عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م بمحنة أهل السلمية الموالين للدولة السعودية طلب من ابنه سعود أن يعد حملة لمساعدة أهلها وإخراج من فيها من مؤيدي الدولة السعودية، أما المعادون من أهل الدلم فقد تجمعوا للحرب. وقد التقى جيش الأمير سعود دون قصد بقوات أهل الخرج عائدة من جولة استطلاعية فحصل بين الطرفين قتال في منطقة السهباء ثم عاد كلٌ من الطرفين إلى مواقعه.[1] وفي نفس السنة قاد الإمام عبدالعزيز بنفسه حملة على عرب آل مرة الذين تجمعوا في الخرج للقتال، وعندما وصل إلى هناك شن عليهم هجوماً ففزع آل مرة ونشب بينهم وبين جيش الدولة قتال شديد في شعيب ضيق فأغلق آل مرة مدخل الشعيب فحصل على جيش الدولة هزيمة اضطرتهم إلى الالتجاء إلى عقبة وعرة تسمى مخيريق الصفا، وبذلك حلت بهم الهزيمة وقتل منهم عدد

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٦-٩٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٢٩-١٣٠؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٥.

كبير قدر بخمسين رجلاً، منهم عبد الله آل حسن أمير بريدة، وهذلول بن ناصر. وقد سميت هذه الوقعة وقعة مخيريق الصفا.[١] وفي أثناء عودة الأمير عبدالله بن محمد بن سعود إلى الدرعية من حملة على حرمه عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م سار إلى الخرج لكنهم علموا به قبل وصوله فاستعدوا، ثم حصل بينه وبين أهل الخرج قتال في السهباء قرب الخرج قتل فيه منهم ستة رجال، وعقر عليهم إبلاً وأغناماً.[٢] واستمرت حملات الدولة السعودية المكثفة على الخرج في الأعوام التالية حيث قام الإمام عبدالعزيز نفسه في عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م بحملة إلى الخرج وهاجم بلدة الدلم ودخلت جنوده داخل البلدة حتى ضاق أهلها وطلب بعضهم الأمان. أما رئيس الدلم المعادي للدولة السعودية، زيد بن زامل، فكان غائباً عند البجادي رئيس اليمامة، وعندما علم بهجوم عبدالعزيز سارع واستجمع قواه وسار للانتقام. وعندما وصل إلى مخيم عبدالعزيز كان جيش الدولة يقاتل داخل بلد الدلم فتركهم واتجه إلى حيث يقيم الإمام عبدالعزيز وكبار أعوانه فحصل بينهم قتال شديد سقط فيه من جيش الإمام عبدالعزيز عشرون رجلاً وأخذ من ركابهم حوالي خمسين. وعندما علم باقي جيش الدولة المقاتل داخل البلد بهذه الحادثة خرجوا منها ودخل زيد بلد الدلم فرحل عبدالعزيز بجنوده قاصداً بلدة نعجان.[٣]

وبعد فترة هدوء استمرت ثلاث سنوات استؤنفت الحملات السعودية على بلاد الخرج، حيث قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بحملة على جنوبي الرياض قاصداً أهل الدلم في بداية عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م، فوضع لهم كميناً، ثم حاصرهم في بلدهم وعندما اشتد القتال خرج عليهم الكمين فتفرقوا في بلادهم، وظل سعود محاصراً لهم عدة أيام. ثم رحل سعود إلى بلدة السلمية حيث بنى بالقرب منها القصر المعروف بقصر البدع ووضع فيه حامية بقيادة محمد بن غشيان.[٤] وفي وقت لاحق

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٨-٩٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٣٠؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٩-١٠٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٣٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٠٢-١٠٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٣٦.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٠٧-١٠٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط=

من هذه السنة أجمع أهل الخرج على أنه لا يستقيم لهم حال ما دام قصر البدع قائماً، وكانت حجتهم أن المقاتلين الموجودين في الحصن يغيرون عليهم في أغلب الأيام فضاقوا بذلك ذرعاً، ووضعوا خطة للاستيلاء على الحصن بأن حملوا السلالم والمحامل في الليل، لكن المرابطين في القصر علموا بهم وقتلوا منهم عدة رجال فانهزم المهاجمون للحصن. ولم تنته محاولاتهم التي ترمي إلى دخول الحصن؛ حيث استنجدوا بسعدون بن عريعر زعيم بني خالد وحاكم الأحساء، مما يعني تحولاً خطيراً في مجريات الأحداث. وقد استجاب سعدون لطلبهم على الفور معتبراً ذلك فرصة عظيمة له للانتقام من الدولة السعودية فجرد الجيوش المدعومة بالمدافع. وعند وصوله هاجم قصر البدع لكن دون طائل، ولم يستطع الرجوع بمدافعه فأودعها في اليمامة حيث كانت غنيمة للدولة السعودية فيما بعد.(١)

ومرة أخرى تسير الأمور لصالح الدولة السعودية، وذلك، والله أعلم، لحسن نيتهم ودفاعهم عن الدين وأهله. ذلك أن فشل سعدون بن عريعر قوى من عزائم جيش الدولة، وفي الوقت نفسه فت في عضد أعدائهم من أهل الخرج وحلفائهم بني خالد. ففي عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م وبعد حملة قام بها الإمام عبدالعزيز على حوطة بين تميم رحل منها وقصد الدلم فقاتل أهلها في بلدان الفرع والنتيقة، ثم سار منها إلى نعجان ونازل أهلها، ثم سار منها إلى اليمامة وقاتل أهلها وهدم بروجاً فيها.(٢) ومن ناحية أخرى كانت نهاية زيد بن زامل في عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م فرصة أخرى لإنهاء التوتر طويل الأمد في بلاد الخرج وضمها إلى الدولة السعودية. ففي هذه السنة أغار زيد بن زامل على بادية سبيع ثم عاد أدراجه فصادف سليمان بن عفيصان في حملة كلفه بها الإمام عبدالعزيز لمطاردة قطاع الطرق، وجرت بين الطرفين معركة، فأنزل الله الرعب في قلوب زيد وأتباعه رغم قلة عدد جيش ابن عفيصان. وفي أثناء المعركة انطلقت رصاصة من جيش ابن عفيصان أصابت زيداً وهو راكب على راحلته فسقط ميتاً ففشل أتباعه وقتل منهم نحو عشرة رجال.(٣)

= ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٤٢-١٤٣؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٤؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٤.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١١٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، =

الخبر، فجهز جيشاً كبيراً أسند قيادته إلى ابنه الأمير سعود بن عبدالعزيز. وقد وصل سعود إلى السلمية وجعل فيها عدة رجال مرابطين ثم أمضى عدة أيام يكاتب أهل اليمامة ويحث البجادي على إخراج أهل الفتنة من بلاده، فوعده بأنه سيفعل إذا رحل سعود عنهم. والواقع أن البجادي ليس صادقاً في قوله لأنه كان ينوي الخديعة، إذ بمجرد أن فك سعود الحصار عن بلادهم نقض البجادي البيعة ونكث العهد وغدر ثم خرج مع أعوانه لمقاتلة مؤيدي الدولة السعودية في السلمية لكنهم كانوا مستعدين له، وبمجرد وصوله إليهم قاتلهم أهل السلمية واشتد القتال فانهزم المعتدون وانقلبوا خائبين.(١) وبعد فترة استجمع الإمام عبدالعزيز قواته في الحاير وبعث حملة صغيرة إلى اليمامة فعقروا لهم إبلاً ورجعوا. وفي بداية سنة ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بحملة أخرى على اليمامة فصادف مقاتليهم في السهباء قرب اليمامة فحصل بين الطرفين قتال سقط فيها عدة قتلى من الجانبين ثم انصرفوا كل إلى بلاده.(٢)

وفي عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م قام الأمير عبدالله بن محمد بن سعود بحملة على اليمامة حيث وضع كميناً في الليل. وفي الصباح هاجم البلد فخرج عليه أهل اليمامة فحصل قتال شديد انهزم فيه أهل اليمامة فولوا هاربين بعد أن قتل منهم نحو عشرين رجلاً وقتل من جيش الدولة عدة رجال. ومن هناك سار عبدالله بجيشه إلى الحريق حيث حصل بينه وبين عدد من رعاتها قتال سقط منهم نحو عشرين قتيلاً.(٣) وقد هدأت الأمور نوعاً ما في بلدة اليمامة بعد موت رئيس اليمامة حسن بن راشد البجادي في عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م.(٤) وفي عام ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م أعلن أهل اليمامة، كغيرهم من أهل الخرج، الطاعة وبايعوا الإمام عبدالعزيز على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وقد استعدوا لدفع ما طلبته

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٦-٩٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٩.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٣١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١٠-١١١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٣.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٣.

منهم الدولة من بلاد الخرج جزاء لهم على خروجهم على طاعة الدولة.[١]

وفي بداية عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م وبينما كان الأمير سعود يستعد لتسيير حملة على بلدة ملهم أخبره رجال من أهل اليمامة بأن آل بجاد يريدون نقض العهد فرحل إليها، وعند وصوله خرج إليه أهلها وفيهم النساء وطلبوا منه الأمان والعفو فألزمهم بأن يفدوا على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز ابن محمد بن سعود. وقد استجابوا لطلب سعود لكنهم غيروا وجهتهم وانصرفوا هاربين إلى الأحساء فأمر الإمام عبدالعزيز بهدم محلتهم المسماة البنه، وعين عليهم الرويس أميراً، كما بنى فيها حصناً وجعل فيه حامية تحت قيادة محمد بن غشيان.[٢] وبذلك انضمت اليمامة نهائياً إلى الدولة السعودية الأولى.

ضم وادي الدواسر:

من البلاد المهمة في جنوبي نجد وادي الدواسر، والحقيقة أن هذه البلاد لم تكن ضالعة في الأحداث التي وقعت في بلاد الخرج والتي استمرت فترة طويلة في مواجهة مع الدولة السعودية الأولى وبين عدوها اللدود زيد بن زامل. ولا شك أن زعماء وأهالي وادي الدواسر كانوا يسمعون عن تلك الأحداث، ويدركون مدى قوة الدولة ومدى ضعفهم أمامها. وعلى رأس القرن الثالث عشر الهجري أصبحت هيمنة الدولة السعودية على بلاد منطقة الرياض ظاهرة وأعداؤها مندحرين. وقد استفاد أهل وادي الدواسر من التجربة التي مرت بها بلاد كثيرة من بلاد نجد وانضموا إلى الدولة السعودية طائعين. ففي عام ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م قدم ربيع وبدن ابنا زيد الدوسري رئيس المخاريم من وادي الدواسر ومعهما رجالٌ من رؤساء قومهما على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبايعوا على دين الله والسمع والطاعة، ثم قاموا بإمارة الوادي على أتم وجه، كما قاموا بنشر الدعوة

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٤؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٥٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٢٦-١٢٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٥٦. أما اليوم فيعتبر الحصن الذي سمي باسم المحلة موقعاً أثرياً يقع في الركن الشمالي الشرقي لبلدة اليمامة، وهو موقع كبير المساحة دخل ضمن المزارع المجاورة، وقد سورت إدارة الآثار التابعة لوزارة المعارف جزءاً من هذا الموقع لمعلم أثري. انظر: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣)، مرجع سابق، ص ص ٥٩-٦٠.

الإصلاحية، وتأييد الدولة السعودية.[١]

استمرت أحوال أهالي وادي الدواسر هادئة، حيث كان ربيع يقوم بالدعوة إلى التوحيد الخالص. وفي سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م تغيرت أحوال الناس في الوادي وبدؤوا ينفرون من ربيع وأتباعه من الدعاة. ولا شك أن من أهم الأسباب لذلك أنهم كانوا يحثونهم على ترك كل ما يتنافى مع الإسلام مما كانوا معتادين عليه، ويصعب عليهم تركه بسهولة نظراً لعدم تمكن الدين من نفوسهم، كما سيأتي تفصيله. وقد تطور الأمر إلى حد اضطر معه ربيع إلى بناء قصر لإيواء الدعاة تحسباً لما قد تؤول إليه الأحوال الأمنية. وعندما انتهى من بنائه جهر بالدعوة وأخذ يطبق ما تدعو إليه من إزالة شعارات الشرك والمنكر. ومما قام به أنه أشعل النار في شجرة كانت معبداً للضالين الجاهلين منهم، فتألبوا على قتاله مع أعوانه، وحاصروه في قصره، وعملوا كل أسباب التضييق على من بداخل القصر. وعندما أخبر ربيع الإمام عبدالعزيز بما هم عليه من شدة وضيق أمده بالمال والسلاح وأرسل إلى مبارك بن عبدالهادي يطلب منه مساعدة ربيع فاستجاب ونزل مع ربيع في القصر. وقد تكالب أهل الوادي على حربهم، وبعد محاولات يائسة أصبحت كفة ربيع وأتباعه هي الراجحة، لكن الحرب استمرت سجالاً بين الطرفين. وفي النهاية تم التوصل إلى صلح خرج بموجبه أتباع ربيع من القصر وذهبوا إلى مبارك بن عبدالهادي فأكرمهم، ثم رحلوا إلى الدرعية وزودهم الإمام عبدالعزيز بالمال والطعام والسلاح ثم رجعوا إلى وطنهم وبنوا لهم قصراً. وقد أدت جهود هؤلاء الدعاة دورها وكانت سبباً بتوفيق الله في انتشار الدعوة الإصلاحية في الوادي، وقد طلب الأهالي من ربيع ومبارك أن يقدموا إليهم فقدموا وبايعوهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.[٢] وبهذه الخطوة خضعت كل بلاد جنوبي نجد حتى وادي الدواسر لحكم الدولة السعودية الأولى، كما تأمنت حدود الدولة من جهة الجنوب.

وبذلك انتهى فصل طويل من جهود الدولة السعودية لضم بلاد منطقة الرياض، وهي خطوة مهمة لتوحيد بلاد نجد بأكملها. ولا شك أن الفترة التي أمضتها الدولة السعودية في ضم البلاد، وتوحيدها

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٥٥.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الأحداث في وادي الدواسر انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٣١-١٣٤؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٦٣-١٦٥.

تحت مظلة واحدة وتمكين هيبة الدولة السعودية في منطقة الرياض بحدودها الجغرافية الحالية خلال عهد الإمام محمد بن سعود وقدراً كبيراً من عهد ابنه الإمام عبدالعزيز قد أعطت أفضل مثال على مدى قوة هذه الدولة، كما أضافت شواهد أخرى على مقدرة الدولة السعودية على أخذ زمام المبادرة في أية مجابهة. وإذا كانت جهود الدولة السعودية في ضم بلاد العارض والوشم والخرج لها خصوصية باعتبارها كانت النواة التي انطلقت منها الدولة وارتباطها بتغيير ما اعتاد عليه عامة الناس من مظاهر مخالفة للدين أو متصادمة معه، فإن المرحلة الثانية التي شملت الفترة الأخيرة من عهد الإمام عبدالعزيز وابنه الإمام سعود شهدت مدى قوة الدولة عندما ضمت إلى رقعة الدولة بلاداً أخرى زادت من قيمة الدولة وارتباطها بالدول الأخرى وأصبحت دولة بحرية، وبرزت مكانتها السياسية والدينية. فبإطلالة القرن الثالث عشر الهجري استطاعت الدولة السعودية ضم منطقة الأحساء عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، وبدأت توجه اهتمامها لضم بلاد الحجاز حتى استطاعت أن تضمه نهائياً في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م. وفي خلال عدة سنوات استطاعت الدولة السعودية ضم معظم بلاد شبه الجزيرة العربية ووصل دعاتها إلى العراق والشام ينشرون عقيدة التوحيد التي انطمست معالمها الصحيحة في نفوس كثير من الناس. وفي الحقيقة فإن المطلع على تاريخ الدولة السعودية الأولى منذ نشأتها وارتباطها بالدعوة الإصلاحية يدرك أن أهدافها كانت ترمي إلى تصحيح العقيدة الإسلامية لدى العامة بالطرق السلمية عن طريق الحجة والإقناع والمناظرات، وعندما لم تُجد تلك الطرق مع بعض الزعماء المتعنتين قامت الدولة بواجبها في الجهاد لإعلاء كلمة الله في المناطق التي انضمت إلى الدولة خلال مسيرتها التي زادت على سبعين عاماً.(١)

---

(١) ليس المجال هنا مجال الحديث عن جهود الدولة السعودية في ضم كل بلاد شبه الجزيرة العربية بسبب خصوصية هذا البحث واقتصاره على منطقة الرياض بحدودها الجغرافية الحالية. ولمزيد من المعلومات عن ضم المناطق الأخرى للدولة انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، وابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، حيث يؤرخان حسب السنين؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٠٨-١٤٧؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٧٧-١٠٠؛ الصقري، صالح بن حمد (١٣٩٨هـ)، **العلاقات السياسية لأشراف مكة بنجد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

obeikan.com

المبحث الثالث

منطقة الرياض تشهد صمود الدولة السعودية

إن المتأمل لعهد الدولة السعودية الأولى يجد أنها أمضت جل وقتها في بناء كيان الدولة، ودعم وحدتها. وكما اتضح من خلال الصفحات السابقة، يمكن للقارئ أن يدرك مدى الجهود التي قامت بها الدولة لضم البلاد وتوحيدها، ومقدار المعاناة التي واجهتها من بعض البلاد في منطقة الرياض بحدودها الحالية من تعنت بعض الزعماء وإصرارهم على مقاومة الدولة بكل ما يستطيعون من جهد مادي ومعنوي.(١)

ورغم أن الدولة السعودية الأولى استطاعت ضم معظم بلاد شبه الجزيرة العربية وتوحيدها في دولة واحدة في فترة تعد قياسية في عمر الدول، إلا أن ضمها الحجاز بخاصة أغضب الدولة العثمانية التي تعتبر الحجاز فرصتها الوحيدة لكسب المسلمين في عامة الدول الإسلامية، وبالتالي استطاعت هذه الدولة حكم البلاد العربية والإسلامية من منطلق أنها دار الخلافة الإسلامية. ومع أن الدولة السعودية لم تكن تعترض على الخلافة الإسلامية بل إنها تدافع عنها، لكنها في الوقت نفسه أدركت أن تحكّم الأشراف في الأماكن المقدسة، ومنعهم بعض الناس عن الحج في بعض السنوات، وخاصة أهل نجد. إضافة إلى أن ما كان يجري في الأماكن المقدسة وفي غيرها من بلاد العالم الإسلامي من أمور بعيدة عن هدي الإسلام أمر لا يمكن السكوت عليه.(٢) ورغم المراسلات التي قامت بها الدولة السعودية مع الدولة العثمانية لشرح مبادئ الدعوة الإصلاحية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبيان طبيعة الارتباط بين هذه الدعوة وبين الدولة السعودية، وبيان أهداف الدولة السعودية من الحجاز، إلا أن الدولة العثمانية لم تحاول دراسة الوضع بأسلوب يضمن قيام علاقات ودية بين البلدين، بل اعتبرت ما

---

(١) أبرز هؤلاء الزعماء دهام بن دواس أمير الرياض، وزيد بن زامل أمير الخرج.

(٢) أول من منع أهل نجد عن الحج هو الشريف مسعود بن سعيد، ولم يكتف بذلك بل تجرأ واحتجز بعض حجاج نجد في عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م. وفي عام ١١٨٢هـ/ ١٧٧٢م طلب أهل نجد السماح لهم بالحج، لكن الشريف غالب اشترط عليهم أن يأخذ عليهم ما يأخذه من الأعاجم، إضافة إلى مئة من الخيل والجياد. انظر تفصيلات عن هذا الموضوع: الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢٩-٣١.

قامت به الدولة السعودية أمراً خارجاً على سلطتها، ولم تحاول إجراء مفاوضات معها، بل بدأت تدرس خيارات القضاء على هذه الدولة الناشئة اقتناعاً منها، أو بإيحاء من ولاتها وقوادها الذين ربما كان لبعضهم مطامع سياسية على حساب الدولة العثمانية نفسها. ومن هؤلاء الولاة والي مصر محمد علي باشا الذي اغتنم فرصة رغبة الدولة العثمانية في كسر شوكة الدولة السعودية وعجز ولاتها الآخرين في العراق والشام عن القيام بهذه المهمة فقام بها على حساب الدولة العثمانية نفسها.

ففي عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م صدر أول تكليف من السلطان العثماني مصطفى الرابع إلى والي مصر محمد علي باشا بالقيام بحملات عسكرية للقضاء على الدولة السعودية الأولى. وبعد أربع سنوات من التردد بين الرغبة في استغلال الفرصة لمصلحته، وبين الخوف من شرك تنصبه له الدولة العثمانية وافق محمد علي باشا على القيام بهذه المهمة حيث وصلت طلائع القوات القادمة من مصر إلى الحجاز.[(١)] وعلى الرغم من أن حملات محمد علي باشا على بلاد الحجاز ومن بعده القصيم استمرت عدة سنوات وكلفت محمد علي باشا كثيراً من الأموال والرجال إلا أن خصوصية هذا البحث بمنطقة الرياض اضطرنا إلى إيراد الخطوط العريضة لهذه الأحداث حرصاً على ترابط الموضوع دون الخوض في تفاصيله لكي يكون تمهيداً للدخول في تفاصيل أكثر عن موضوع هذا البحث الذي يختص بمنطقة الرياض.

بدأ محمد علي باشا عملياته العسكرية في الجزيرة العربية بحملاته على الحجاز في عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م واستمرت حوالي ثمانية أعوام انتهت بسقوط الدرعية في عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م. وخلال هذه الفترة العصيبة أبلت الدولة السعودية الأولى بلاءً حسناً في حرب شرسة غير متكافئة من حيث الإمكانات العسكرية والتفوق البشري والإمداد المتوالي. ولأهمية هذه المواجهة والنتائج التي ستترتب عليها بالنسبة للجانبين بذل كلا الطرفين جهوداً مضنية لكسب الجولات الحربية الأولى. فبالنسبة للدولة السعودية قاد الإمام سعود نفسه ومن بعده ابنه الإمام عبدالله أغلب العمليات العسكرية، وبالنسبة للجيوش المصرية قادها طوسون بن محمد علي باشا حتى شوال عام

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، **من محمد علي إلى الباب العالي، دفتر ١**، معية تركي، وثيقة ٤، تاريخ ذي الحجة ١٢٢٢هـ ديسمبر ١٨٠٧م، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٠٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤١. وانظر عن استعدادات محمد علي باشا لهذه المهمة، والعوامل المهيئة لنجاحها في الحجاز: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٨٢-١٨٣.

١٢٣١هـ/ سبتمبر ١٨١٥م، ثم خلفه في قيادة الجيوش إبراهيم باشا، الابن الأكبر لمحمد علي باشا. وتدعيماً لموقف جيوشه التي لاقت مصاعب، خاصة بعد معركة تربة، وصل محمد علي نفسه إلى الحجاز في ذي القعدة عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م على رأس قوة كبيرة وقدم معه في هذا العام الحاج المصري، ثم وصل إلى مكة المكرمة وقبض على الشريف غالب ثم عزله وعين مكانه الشريف يحيى بن سرور.[١] وكما ذكرنا سابقاً كان محمد علي باشا يخطط للاستفادة من كل خطواته السياسية والعسكرية، فقد ماطل في الاستجابة لطلب الدولة العثمانية القيام بحملات على الدولة السعودية حتى أظهر بأنه الوحيد القادر على ذلك، ثم استغل هذا الطلب في الحصول على الأموال والأسلحة. وعندما استخلص الحجاز ازداد غروره وازدادت مطالبه فأصبح يطالب بولاية الشام. وقد حاول أن يبعد عن نفسه الريبة في مصلحة شخصية بهذه المطالب، إلا أنه لم يستطع أن يخفي غروره بقوله: "ودون أن يكون قولي في معرض التشكر أو المن فإنه لم يبق في الساحة غيري، المتحمس والباذل في سبيل هذه القضية كل الغيرة وكل المقدرة"، ثم قال مرة أخرى في سياق مطالبته بولاية الشام: "إن قصدي من هذا التفضل لم يكن صورة الشكوى ولا هو من أنواع المن بل إنه أولاً إفادة الحقيقة والحال وثانياً إن مطالبتي بالشام في الأول والآخر لم يكن ابتغاء المنفعة وتوسيع المنصب بل هو لمجرد إبراز الخدمة الحسنة للدين"، ثم يظهر غروره بشكل علني عندما ختم رسالته بقوله: "إن إقليم مصر فوق قدري واستحقاقي وإنني في ظل السلطة لأتشوف بنظري إلى محل آخر وبخاصة للشام. . . ". ورغم هذا الطموح المشفوع بالغرور إلا أنه أراد التمويه حيث علل رغبته بولاية الشام بضرورات عسكرية ومالية عندما قال بأن الهجوم على الدرعية يحتاج إلى ثلاثة أطراف وفي كل طرف ما بين ٢٠-٣٠ ألفاً من العساكر السلطانية. ثم بيّن أن الدرعية تبعد عن الحجاز ما بين ٢٠-٣٠ منزلاً ولذا فإنه من العسير دعم العسكر بالمدد، ثم قال إن بين الشام والدرعية طريقاً عليه ١٧ منزلاً، وأكثر هذه المنازل والمراحل ذات كلأ ومياه وعمار.[٢]

ولا شك أن وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز في الحادي عشر من شهر جمادى الأولى عام

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٣٨، ٣٨٢، ٣٨٤. وانظر مزيداً من التفاصيل عن وصول محمد علي باشا إلى جدة ومكة المكرمة وأعماله العسكرية والمدنية هناك: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) وردت هذه التفاصيل عن طموحات محمد علي باشا في وثيقة عثمانية. انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٦٥، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٢٨هـ.

١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م كانت من الأمور التي أضعفت الجبهة السعودية، إذ إنه بحلول عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م استخلصت جيوش محمد علي باشا الحجاز بأكمله من أيدي السعوديين وأصبح إقليماً تابعاً لمصر من الناحية الإدارية، لكنه تحت سيادة الدولة العثمانية.(١)

وفيما كانت فرق من جيوش محمد علي تقاتل في الجنوب لإخضاع بلاد اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية، كان محمد علي باشا والي مصر يخطط لنقل ميادين المعارك إلى منطقة القصيم استعداداً للوصول إلى الدرعية وإخضاعها. ولا شك أن هذه المهمة صعبة وشاقة ولذلك استعد لها محمد علي باشا بالقوة اللازمة، وقد وصف هذا الاستعداد في رسالة له بعثها إلى السلطان. ومن هذه الرسالة يمكن أن نحصر عدد القوات التي حشدها محمد علي باشا للقيام بالمرحلة التالية؛ وهي الهجوم على القصيم وقد تكونت هذه القوات من أربعمائة خيال كانوا بمعية محافظ المدينة المنورة، كما انتقى محمد علي باشا ثمانمائة خيال من دائرة إبراهيم باشا، ثم أضاف إليهم أربعمائة تحت قيادة حسن آغا، وإلى جانبه بعض القادة الصغار مع نحو ثلاثمائة خيال، وبذلك بلغ عدد الفرسان حوالي ألف فارس انتقاهم من عدة جهات. وهكذا بلغ مجموع الجيش المتواجد في المدينة ثلاثة آلاف خيال، في حين بلغ المشاة حوالي أربعة آلاف، فأصبح المجموع سبعة آلاف من الخيالة والمشاة.(٢)

وفي الوقت الذي غادر فيه محمد علي باشا جدة في ٥ جمادى الثانية عام ١٢٣٠هـ الموافق ٢٠ مايو ١٨١٥م كانت القوات المصرية تحت قيادة ابنه طوسون باشا تواصل توغلها في منطقة القصيم حيث وصلت إلى الرس. وبعد أن استطاع إخضاع بلدان أخرى في القصيم، اعتقد أن الطريق أصبح ممهداً

---

(١) أصبح الحجاز بعد هذه الحملات، ونجاح إبراهيم باشا في اقتحام الدرعية وإسقاط حكومتها، يخضع لحكم محمد علي باشا في مصر مباشرة، وخاصة بعد أن صدر مرسوم بتعيين إبراهيم باشا على جدة بمرتبة وزير، وأصبح تعيين الأشراف يتم في مصر. وقد قام محمد علي باشا بإحداث بعض التغييرات في مقر حكم الأشراف، ومنها استبدال الأسرة الشريفية الحاكمة بأسرة أخرى من العبادلة هي أسرة عون، كما فتح البلاد للإفرنج، والسير في الحكومة على نهج الحكومات الحديثة. وللمزيد من المعلومات عن وضع الحجاز في ذلك الوقت راجع: حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مرجع سابق، ص٣٠٧؛ السباعي، أحمد، (١٣٨٠هـ) تاريخ مكة، مكتبة الثقافة، مكة، ص٣٥٨؛ وهبة، حافظ، (١٣٨٧هـ)، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص١٥٢؛ باوزير، سعيد عوض، (١٣٨٥هـ)، معالم تاريخ الجزيرة العربية، مؤسسة خليفة للطباعة، عدن، ص ص١١١٨.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٩٠، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٠هـ.

للمسير إلى الدرعية. ويبدو أن طوسون كان مخطئاً في هذا الاعتقاد إذ سرعان ما أدرك أن عليه أن يتوقف عند هذا الحد وألا يتوغل في بلدان القصيم خشية على جنوده، وخوفاً من قطع الطريق بينه وبين قواعد تموينه في الحجاز. وفي الوقت نفسه كان الإمام عبدالله بن سعود راغباً في التقاط أنفاس قواته المنهكة، وكان يريد وقتاً لمعاقبة من انحاز إلى قوات طوسون من أهل البلدان. وبذلك التقت الرغبتان وجرت مفاوضات للصلح، لكنها لم تصل إلى اتفاق نهائي بسبب تحفظ الإمام عبدالله على بعضها، ولكون الموافقة عليها منوطة بمحمد علي باشا نفسه.(١)

وقد توقف القتال لمعرفة نتيجة رحلة الوفد السعودي الذي ذهب إلى مصر للمفاوضة. وفي الوقت نفسه انسحب طوسون باشا بقواته إلى المدينة، ويبدو أن ذلك تم بسبب خشيته على قواته وبسبب تدهور حالته الصحية بدليل أنه أرسل إلى والده يطلب منه السماح له بالعودة إلى مصر. ويؤكد ذلك أن محمداً علي باشا لم يسمح له إلا بعد أن استأذن الباب العالي وتعهد له بإتمام عملية القضاء على الدولة السعودية. وفي هذه الأثناء مات طوسون باشا في ٧ ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٨١٦م وكلف محمد علي باشا ابنه الأكبر إبراهيم باشا بإتمام مهمة طوسون.(٢)

---

(١) وقد تمت المصالحة بينهما على إيقاف الحرب بين الطرفين، وأن يرحل جيش طوسون باشا عن نجد، وعلى حرية تنقل رعايا الدولة العثمانية عبر نجد في طريقهم للحج، وتنقلهم في جميع بلاد الدولة السعودية. انظر: ابن بشر، عثمان ابن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٧٨. لكن المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي، لم يذكر هذه الشروط بل اكتفى بالقول "وأن عبدالله (يقصد الإمام عبدالله بن سعود) ترك الحرب والقتال وأذعن للطاعة وحقن الدماء". انظر: الجبرتي، عبدالرحمن، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٤٩٣. ويذكر الرافعي شروطاً أخرى منها: احتلال جيش طوسون الدرعية، وأن يرد آل سعود كل ما أخذوه من الحجرة النبوية، وأن يضع عبدالله ابن سعود نفسه تحت تصرف جيش طوسون، وأن يكون عبدالله خاضعاً لحاكم المدينة حتى تتم الموافقة على الصلح، وأخيراً لا تصبح هذه الشروط نافذة إلا بعد موافقة محمد علي باشا عليها. الرافعي، عبدالرحمن، (١٣٧٠هـ)، **عصر محمد علي**، مطبعة الفكرة، القاهرة، ص١١٦. ويبدو أن الشروط الأخيرة أقرب إلى الواقع لأن زمام الموقف في هذا الوقت كانت لجيش محمد علي، ولهذا فليس غريباً أن يفرض طوسون شروطاً تتوافق مع مهمة الحملات المصرية التي جاءت من أجلها والتي من أهمها تسليم الدرعية والقضاء على الدولة السعودية. ويؤيد هذا الرأي أن الإمام عبدالله بن سعود لم ترضه هذه الشروط التي وضعها طوسون باشا بل اعتبرها إهانة له فرفضها وأرسل وفداً إلى مصر لمقابلة محمد علي باشا والتفاوض معه على الصلح وذلك في شهر شوال ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م.

(٢) للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع وعن شروط صلح الرس واختلاف روايات المؤرخين المعاصرين حولها انظر: =

وفي مصر فشلت مهمة الوفد السعودي قبل أن تبدأ حيث لم يحسن محمد علي باشا استقبالهم، ولم يوافق على توقيع الصلح، وعرف الوفد تصميم محمد علي على القضاء على الدولة السعودية.[١] وكان الوفد يحمل معه رسائل من الإمام عبدالله إلى كل من محمد علي باشا، وإلى السلطان محمود الثاني يشرح فيهما وجهة نظره في أمر الصلح، حيث أوضح أن المسؤول عن عدم الثقة وما جرته من حروب بين بلاده والدولة العثمانية هو وشايات الشريف غالب، إلى درجة أنه كان يزوّر خط والده الإمام سعود في رسائل كان يرسلها إلى الباب العالي لإثارة الفتنة بين الطرفين. وتثبت الوثائق المصرية أن الإمام عبدالله بن سعود أبدى رغبته في إعلان خضوعه للدولة العثمانية مقابل أن تمنحه وشعبه الأمان.[٢] ولا شك أن الإمام عبدالله أدرك صعوبة موقف قواته وتصميم الدولة العثمانية ممثلة بوالي مصر محمد علي باشا على القضاء على دولته، ولهذا فإن هذه المراسلات وما قيل عن استعداده للخضوع للدولة العثمانية والدعاء للسلطان العثماني كان حرصاً منه على الإبقاء على ما يمكن إبقاؤه من استقلال بلاده، والحفاظ على ما بقي من مناطقها لتستمر في رسالتها التي قامت من أجلها.

إبراهيم باشا يواصل مهمة طوسون:

ونتيجة للصلح وما تبعه من مغادرة طوسون باشا إلى مصر، قام الإمام عبد الله بحملة إلى القصيم لمعاقبة بعض البلاد التي وافقت طوسون باشا، كما أدب بعض البدو الذين ساعدوا جيش طوسون، وقد

= ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٧٨؛ الجبرتي، عبدالرحمن، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٤٩٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨؛ الرافعي، عبدالرحمن، (١٣٧٠هـ)، مرجع سابق، ص١١٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٣١-٣٣٣؛ سعيد، أمين، (د. ت.)، **تاريخ الدولة السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص١٢٠.

(١) الجبرتي، عبدالرحمن، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٤٩٣. ويقول آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨، مختصراً نتيجة رحلة الوفد، ومبيناً موقف محمد علي باشا الرافض للصلح: "ركب رجال من أهل القصيم إلى مصر وأكثروا القول لمحمد علي فتلقى قولهم بالقبول وأخذ في تجهيز العساكر إلى نجد مع ابنه إبراهيم باشا».

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ بحر برا، محفظة ١٦، وثيقة ١٢٢، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ملحق ٢٢. وعن مراسلات الإمام عبدالله إلى كل من السلطان العثماني ومحمد علي باشا انظر: الملحقان ٢٣، ٢٤.

وصل في حملته تلك إلى أطراف المدينة المنورة.[١] أما الجانب الآخر فقد عزم محمد علي باشا على مواصلة الحرب حتى النهاية واستعد لها بقوات إضافية، فعلى مستوى القيادة عين، بعد رجوعه إلى القاهرة، ابنه الأكبر إبراهيم باشا قائداً عاماً للجيوش المحاربة في الجزيرة العربية حيث استعد بجيش كبير. كما تواصلت الإمدادات من مصر إلى الحجاز عبر مينائي السويس والقصير، وأقيمت معسكرات التدريب استعداداً لحملات متتابعة، وخلال فترة الحرب كانت الإمدادات المتوالية تصل إلى إبراهيم باشا حسب احتياجه حتى سقوط الدرعية كما سيأتي تفصيله.[٢]

قاد إبراهيم باشا المواجهات بين قواته المتمركزة في الحناكية وبين قوات الدولة السعودية الأولى في القصيم المدعومة من أهالي القصيم والوشم وسدير. ثم تعزز موقف الجيوش السعودية بخروج الإمام عبدالله بن سعود على رأس جيش الدرعية في العشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م.[٣] وفي القصيم حدثت مواجهات بين قوات إبراهيم باشا وجيش الدولة السعودية، ورغم قلة إمكانات الدولة السعودية فإنها أبلت بلاءً حسناً في القصيم لكنها لم تستطع الصمود أمام قوات إبراهيم باشا. ففي الرس ورغم الهزيمة التي منيت بها في المرة الأولى إلا أن حماس قوات إبراهيم باشا والإمدادات التي وصلته والتي كانت تضم أربعمائة خيال وأربعمائة من المشاة، وخمسمائة من مشاة المغاربة، ومعهم من العتاد أربعة آلاف قذيفة من عيار ٧ أوقية مع مدفع، كان لها أثر نفسي حيث فعلت فعلها، واستطاع أن يشدد الحصار على قلعة الرس التي وصفها بأنها قفل للدرعية منذ يوم ٢٧ شعبان، بينما كان الإمام عبدالله بن سعود يترصد لهم في عنيزة. وبعد طول حصار طلب أهل الرس في اليوم العاشر من ذي الحجة الصلح فوافق إبراهيم باشا بعد أن قتل ثلاثة من قادتهم وأمّن الباقين. وبعد ذلك أرسل إبراهيم باشا قواتاً من الخيالة والمشاة والمدافع حيث حاصرت بلدة الخبراء، وبعد أن

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٣٩؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص١٩١.

(2) Playfair, R. L., (1959), **A History of Arabia Felix or Yemen from the commencment of Christian Era to the present time**, Education Societys press Bombay, p. 133.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٨٤-٣٨٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨.

يئس المحاصرون استسلموا، ثم غادرها إلى عنيزة فسلمت له.[١] وهكذا أخذت بلدان القصيم تسقط الواحدة تلو الأخرى بعد قتال مرير في بعضها، كما حصل في بعض فترات الحرب محادثات لعقد صلح. وخلال عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م أطبق إبراهيم باشا على أكثر بلاد القصيم. وفي غرة محرم عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م وصل إبراهيم باشا بقواته إلى بريدة واقتحمها وضيق على أهلها بالقذائف ورصاص البنادق مدة يوم وليلة، وبعد أن قتل من أهلها قرابة ستين رجلاً طلبوا الأمان فوافق إبراهيم باشا بعد أن أخذ منهم ثلاثة مدافع كانت لديهم بالإضافة إلى عتادها، كما احتجز ابن أميرها حجيلان بن حمد، ثم بدأ استعداداته للرحيل إلى شقراء.[٢] ومن الملاحظ أن إبراهيم باشا لم يطل المقام في القصيم ولم يحاول أن يخضع كل القلاع الموجودة في المدن والقرى لأنها تحتاج إلى وقت وجهد وذخيرة هو في حاجة إليها لإتمام مهمته إلى الدرعية.[٣] وبذلك سقطت منطقة القصيم بأيدي القوات المصرية، وعندها بدأ إبراهيم باشا يخطط للاستيلاء على منطقة الوشم.[٤]

---

(١) انظر تفاصيل عن هذه الأحداث في: الوثائق العثمانية، دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٩٧ من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٣٣٢هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٤، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، تاريخ ١٣٣٢هـ(غير واضح)؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٥٢، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٣٣٢هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٢، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، تاريخ ١٢٣٣هـ؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨-١٤٩.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٣، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ.

(٣) الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص١٧٠. وعن هذه الأحداث انظر: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٤) للمزيد من المعلومات عن حملة إبراهيم باشا على منطقة القصيم ودفاع أهلها، وعن شروط الصلح لتسليم الرس وعنيزة انظر: الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٨٤-٣٩٠؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨-١٤٩؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٤٤-٣٤٥؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٩٢-١٩٣؛ الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص١٦٨-١٧٠.

الوشم في الطريق إلى الدرعية:

بعد أن فرغ إبراهيم باشا من السيطرة على بلاد القصيم رحل من بريدة إلى المذنب ثم غادرها قاصداً بلدان الوشم في ٣ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ أوائل عام ١٨١٨م، وهي من البلدان التابعة لمنطقة الرياض حالياً، حيث نزل في بلدة أشيقر والفرعة. أما الإمام عبدالله بن سعود فقد اتخذ من شقراء مقراً لقواته. وبسبب الهالة التي صاحبت عملياته العسكرية وخوف هذه البلدان الصغيرة من بطش قواته طلب أهالي أشيقر والفرعة الأمان من إبراهيم باشا على أن يدخلوا في طاعته.(١)

شقراء تصمد:

كانت شقراء هي الهدف التالي لإبراهيم باشا، وكان أهلها يعلمون بخطته ولذلك حرصوا على تحصينها. ففي آخر شهر ذي الحجة عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م طلب أمير شقراء حمد بن يحيى من أهلها أن يكملوا حفر الخندق الذي بدأوا في حفره حول بلدتهم في وقت سابق عندما كانت قوات طوسون تحقق انتصاراتها ثم توقفوا عن حفره بعد الهدنة بين طوسون وأهل القصيم. وعندما تحققت لإبراهيم باشا الغلبة في القصيم وبدأ يخطط للاستيلاء على منطقة الوشم سارع الأهالي في إكمال حفر الخندق مستعينين بكل من يستطيع العمل حتى النساء والأطفال ساعدوا بنقل الأطعمة والماء للعاملين بالخندق. وخلال فترة وجيزة أكملوا حفر خندق واسع عميق ثم بنوا على جانبه من جهة السور جداراً. واحتياطاً لطول الحصار طلب أمير شقراء من أغنيائهم شراء كميات كبيرة من الحنطة، كما أمر بقطع عسبان النخيل التي تلي الخندق والقلعة والإبقاء على خوافيها ففعلوا وهم كارهون.(٢)

ومن جانبه كان إبراهيم باشا حريصاً على بذل كل أسباب النجاح لحملته على شقراء لأنه يعلم أن أهلها شديدو البأس في الحرب وكانوا من المناصرين المخلصين للدعوة الإصلاحية والدولة السعودية، وكان إبراهيم باشا كثيراً ما يذكرهم في مجالسه. ومن أجل ذلك أراد سبر غور دفاعاتها، ومعرفة أفضل الأماكن لإقامة جيشه. ففي يوم الخميس السادس من شهر ربيع الأول غادر إبراهيم باشا مخيمه وجيشه وقصد شقراء واصطحب معه مدفعاً صغيراً حيث قام بجولة استطلاعية على البلد وحدد المكان الذي

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٠؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٨٩-٣٩٠.

سينزل فيه، والمكان الذي سترابط فيه قواته، والموضع المناسب لمدافعه ثم عاد من حيث أتى، كما استدعى إمدادات عسكرية إضافية من المقاتلين والمدافع. وفي يوم الجمعة التالي نقل إبراهيم باشا جيشه من بلدة أشيقر قاصداً شقراء التي وصلها في ٩ ربيع الأول ١٢٣٣هـ، حيث نزل أسفل البلد ونصب خيامه وحفر الخندق، ثم وصل إلى مشارف قلعة شقراء الترابية المحاطة بالنخيل وأشجار العنب فحاصرها وضربها بالقنابل وقذائف المدافع مدة أربعة أيام مع لياليها، ثم أمر المشاة بالهجوم على أبراج القلعة وأطراف النخيل التي احتشد فيها من أتباع الإمام عبدالله بن سعود أكثر من أربعة آلاف مقاتل، وقد وقع بين قوات إبراهيم باشا وأهل شقراء قتال شديد حتى اضطروا إلى الاحتماء داخل البلد، وقد أسفرت هذه المعركة عن سقوط عدد كبير من القتلى من مشاة إبراهيم باشا بينما كان الجرحى منهم أقل. أما من الجانب السعودي فقد سقط أكثر من مئتي مقاتل من المدافعين عن شقراء، كما جرح في هذا القتال أمير شقراء حمد بن يحيى.[1] ورغم هذه الخسائر البشرية الكبيرة فقد صبر أهل شقراء وأوقعوا بجيش إبراهيم باشا خسائر كبيرة من القتلى والجرحى. وفي هذه المرحلة تكاتف جنود إبراهيم باشا وقاموا بنقل المدافع إلى المرقب في شمال البلد فأخذت تمطر البلدة بوابل من الرصاص بكثافة غير معهودة، حتى إن ابن بشر ذكر أن ما سقط على البلد في ليلة واحدة يقدر بثلاثمائة حمل من الرصاص والبارود. ومن سرعة وكثافة ضرب المدافع كانت رصاص المدافع والقنابر والبنادق تتصادم في السماء فوق البلد وفي وسطها حتى إن أهل بلدان منيخ وسدير والمحمل خافوا من تلك المدافع. ورغم التفوق الواضح لقوات إبراهيم باشا والإمكانات العسكرية التي رصدها لاقتحام البلد حتى إنه قرب المدافع إلى جوار السور وهدم ما يليه من البيوت والقصور، إلا أن أهل شقراء صبروا حتى دب اليأس في نفوس إبراهيم باشا وقواته من صعوبة اقتحام الخندق. ورغم نداءات إبراهيم باشا المتكررة لهم بالصلح إلا أنهم كانوا يرفضون قبوله لثقتهم بالله ثم بأنفسهم. وبينما كانت القلعة على وشك السقوط عنوة طلب أهل شقراء الصلح حيث فاوض من جانبهم رجلان من زعمائهم هما عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى وغيهب بن زيد. كانت شروط الصلح تتضمن تأمين دمائهم وأموالهم وما تضمه بلادهم. كما اشترط إبراهيم باشا

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٧، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١ جمادى الأول ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-٧٦، من والي مصر الحاج علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١ ذو القعدة ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٠، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، تارخ ١٢٣٣هـ.

تسليمه المدافع الخمسة الموجودة في القلعة، بالإضافة إلى تسليم الأسلحة التي يحملها المقاتلون من أهل البلاد المجاورة الذين جاؤوا لمساعدة أهل شقراء، وأن يبيع الأهالي للجيش المصري ما عندهم من ميرة، وفي مقابل ذلك يسمح للأهالي بالذهاب إلى حيث يشاؤون شريطة عدم حملهم السلاح والقتال ضد قواته مرة ثانية، وإذا أخلوا بهذا الشروط فإن دماءهم تحل لقوات إبراهيم باشا.[١] ومن الغريب أن تكون هذه الشروط مقبولة لدى أهل شقراء مع أنهم بقوا صامدين حتى رضخ إبراهيم باشا للصلح، فكيف يقبلونها مع أن كفتهم هي الراجحة. وهذا ما يعزز الإشاعة التي وردت إلى إبراهيم باشا بأن أهل شقراء أرادوا بهذا الصلح فك الحصار عنهم لكي يستطيعوا التقاط أنفاسهم، وربما تأتيهم خلال هذه الفترة إمدادات من الدرعية. وعلى العموم فقد تعرض الصلح إلى مشكلات لأن إبراهيم باشا أخذ الإشاعة السابق ذكرها على محمل الجد، وأن أهل شقراء استغلوا الصلح ليقوموا بالاتصال بالإمام عبدالله بن سعود في الدرعية لطلب المعونة فدخل البلد غاضباً وطلب من أعيانه تفسيراً لهذا الإشاعة فبينوا له أنها لا تعدو أن تكون وشاية، ثم لاطفوه وطلبوا عفوه فعفا عنهم. وبعد أن أقام إبراهيم باشا شهراً ارتحل عنها وأخذ من زعمائها عشرة رجال رهائن لديه.

وعلى العموم فقد استغل إبراهيم باشا الصلح فأرسل قواته لمهاجمة بلدان منيخ وسدير وأخذوا بعض الحبوب والدواب والعلف. وفي الوقت نفسه جاءته وفود من المحمل وحريملاء وأعلنوا الطاعة له ثم ارتحل قاصداً ضرما.[٢] ورغم عدم استطاعة إبراهيم باشا اقتحام شقراء ورضوخه لطلبهم تأمين سلامة أهلها إلا أن الصلح وما أعقبه من السيطرة على البلد ومعاقبة البلدان الأخرى وهدمه سور شقراء وردمه خندقها كلها دلائل تؤكد المكاسب التي حققها إبراهيم باشا في هذه الجولة.

ضرما تثبت للقتال:

بعد تمكن إبراهيم باشا من السيطرة على شقراء عن طريق المصالحة وإخضاع بقية بلاد الوشم وسدير

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٧، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١ جمادى الأول ١٢٣٣هـ؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٢؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٧؛ سعيد، أمين، (د.ت.)، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٩٢-٣٩٣.

والمحمل بدون قتال وعزمه على المسير إلى ضرما، أدرك الإمام عبدالله حرج موقف قواته وبدأ يخطط للمقاومة في حالة وصول قوات إبراهيم باشا إلى الدرعية. وفي البداية كان الإمام عبدالله يدرك أن بلدان منطقة الرياض هي الدرع الواقي والملاذ الأخير بعد الله للدولة السعودية، ولهذا أمر باستنفار القوى القريبة من ضرما لمساعدتها في الصمود أمام قوات إبراهيم باشا المترقب وصولها إلى البلدة. لقد طلب من الأمير سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود أن يخرج على رأس قوة من الدرعية، كما طلب من متعب بن إبراهيم بن عفيصان صاحب الخرج أن يخرج على رأس قوة من المقاتلين من أهل الخرج ومن حولهم، وأمر محمد العميري ومن معه من الرجال من أهل ثادق والمحمل، وطلب من الجميع التوجه إلى ضرما لمساعدة قواتها فنفذوا الطلب على وجه السرعة.[١]

ومن جانبه استعد إبراهيم باشا لوصول قواته إلى ضرما وتوقعه بأن يلقى مقاومة هناك على اعتبار أن قواته أصبحت قريبة من آخر معاقل قوات الدولة السعودية في الدرعية. وعندما قرب من ضرما أرسل مجموعة استطلاع من قادته لمعرفة ظروف البلد والمكان المناسب لتمركز قيادته وقواته ومدافعه. وفي صباح اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني وصل إبراهيم باشا بقواته إلى مشارف ضرما حيث نزل شرقي البلد في مكان يسمى المزاحميات، وعسكرت قواته بمدافعها وعتادها ونزلوا شمالي البلدة، ثم بدأ القتال بين الطرفين بتفوق قوات إبراهيم باشا بمدافعه على المقاتلين من أهل ضرما الذين صبروا ودافعوا دفاعاً مستميتاً، حتى إن إبراهيم باشا طلب منهم المصالحة فرفضوا مما يدل على أنهم في موقف قوي. ويذكر ابن بشر أن ضرما أقوى بلدان منطقة الرياض بعد الدرعية من حيث العدد والعدة من الرجال والأموال. ومن خلال وصف المؤرخين لهذا القتال يتبين صمود المقاتلين من أهل ضرما ومن وقف معهم وإفشالهم قوة جيش إبراهيم باشا المحتشد أمام البلدة بكل عدته وعدده. ولتصميم جيش إبراهيم باشا على إخضاع البلدة بأي وسيلة اضطروا إلى تقريب المدافع إلى جوار السور وبدؤوا يضربون داخل البلدة بقوة لا مثيل لها مما زاد من المعاناة التي لاقاها أهل ضرما ومن وقف معهم. وقد روى ابن بشر عن شاهد عيان أنه أحصى فيما بين المغرب والعشاء حوالي خمسة آلاف وسبعمائة رمية ما بين قبس ومدفع وقنبرة، فهدموا ما والاهم من السور، ومع ذلك صمد أهل البلد وأوقعوا في جيش إبراهيم باشا ما لا يقل عن ستمائة قتيل حتى اضطر إبراهيم باشا إلى نقل بعض مدافعه وقواته إلى جنوب البلد وأخذ

---

(١) المرجع السابق، ص٣٩٤.

يضربها من جهتين. وقد استطاع جنود إبراهيم باشا الدخول ومباغتة أهل ضرما حيث لم يعلموا بهم إلا بعد أن شاهدوا المقاتلين في داخل البلد وعندها خافوا على أهليهم وأولادهم وأموالهم فانقلبوا للدفاع. وبالإضافة إلى ذلك عانى أهل ضرما من سقوط المطر والبرد في تلك الليلة أيما معاناة مما رجح كفة قوات إبراهيم باشا. ويذكر الفاخري أن سبب انتصار إبراهيم باشا على أهل ضرما حصول خيانة من بعض المدافعين عنها، لكنه لم يذكرهم ولم يبين سبب هذه الخيانة.(١)

وبعد ثلاثة أيام من القتال العنيف الذي أبلى فيه أهل ضرما ومن جاء لمساعدتهم بلاءً حسناً، تمكنت في النهاية قوات إبراهيم باشا في صباح اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني من دخول ضرما من جميع جهاتها وأخذوها عنوة وقتلوا أهلها في الأسواق والبيوت والطرقات، ومع ذلك لم يستسلم أهل ضرما واستمروا في قتالهم في صباح ذلك اليوم ولم تتم لإبراهيم باشا الغلبة الكاملة إلا بعد أن خدعهم بالأمان. وقد ذكر ابن بشر رواية عن شاهد عيان أن من خدعهم أنهم يأتون إلى أهل البيت فيقولون لهم "أمان أمان ويأخذون سلاحهم ويقتلونهم، ونهبوا جميع ما احتوت عليه البلد من الأموال والأمتاع والسلاح واللباس والمواشي والخيل وغير ذلك".(٢)

أما أهل ضرما ومن جاء لمساعدتهم فقد حاولوا الخلاص بأنفسهم، فقد قاوم محمد العميري ورجاله من أهل ثادق والمحمل رغم مقتل عدد منهم واستطاعوا في النهاية النجاة من قوات إبراهيم باشا. أما الأمير سعود بن عبدالله والمقاتلين معه من أهل الدرعية فقد حوصروا في أحد القصور وكان عددهم يقارب الثلاثمائة حتى أمّنهم إبراهيم باشا على دمائهم وعندها خرجوا إلى الدرعية. أما أهل ضرما فقد اندفعوا خارج البلد لا يلوون على شيء وخلت البلد من سكانها حيث جمع إبراهيم باشا من بقي منهم من النساء والأولاد وعددهم حوالي ثلاثة آلاف شخص وأرسلهم إلى الدرعية سالمين حيث استقبلهم الإمام عبدالله بن سعود وأكرمهم ورتب لهم مأوى وما يحتاجونه من طعام وغيره. أما الخسائر البشرية فقد أحصى ابن بشر عدد القتلى بقوله «الذي قتل في هذه الوقعة من أهل ضرما بنحو ثمانمائة

---

(١) الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص١٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٥..

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٦؛ الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص١٧١.

رجل وأهل البلد حوالي اثني عشر مائة رجل، وقتل من المرابطين نحواً من خمسين رجلاً». (١)

الدرعية آخر معاقل الدولة السعودية:

بعد خمس وسبعين سنة على قيام الدولة السعودية في الدرعية، تلك المدينة التي غطت شهرتها الآفاق ليس فقط داخل منطقة الرياض أو بلاد نجد، بل في الجزيرة العربية بأكملها ومن له علاقة بها، ها هي الدرعية تعود لتدخل التاريخ من جديد مدافعة عن دولة الإسلام والدعوة الإصلاحية في العصر الحديث باعتبارها رمز هذه الدولة وشعار بقائها. ولا شك أن جميع ما تحقق لقوات إبراهيم باشا من انتصارات على محاور القتال في الحجاز والقصيم والوشم ليست بحد ذاتها الهدف الذي قاد قوات إبراهيم باشا آلاف الأميال في بلاد صحراوية قاسية المناخ قليلة الموارد، لكن الهدف الأهم والغاية العظمى تكمن في القضاء على الدولة السعودية وهو أمر يعرف مخططو السياسة العثمانية ومن بعدهم محمد علي باشا أنه لن يتم إلا بإخضاع الدرعية رمز هذه الدولة وعاصمتها، ليس هذا فحسب بل والعمل على هدمها وإزالتها عن الوجود لتمحو بذلك أي ذكرى قد تبقى لهذه الدولة في نفوس أهلها.

أما قصة ملحمة الدرعية فقد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ليس فقط لطول المدة التي قاوم فيها قادة الدولة السعودية وأهل الدرعية أعظم جيش من جيوش ولاة الدولة العثمانية، وليس للبسالة التي بذلها المدافعون عن الدرعية فحسب، وليس للمبادئ التي قامت عليها الدولة وجاهدت لبقائها، بل لكل تلك الأسباب مجتمعة ويزيد عليها كون هذه الدولة تمثل الوحدة الإسلامية العربية في العصر الحديث والرمز الذي ولد ليبقى بعد الدولة السعودية الأولى ماثلاً في الدولة السعودية الثانية ثم الثالثة التي تدلج الآن إلى أعتاب قرن ثان من عمرها المديد بإذن الله.

وتصوّر لنا كتب التاريخ المعاصرة لأحداث الدرعية مدى الاستعدادات التي بذلت من قبل الإمام عبدالله بن سعود والمدافعين عنها، ومدى الإمكانات والجهود والمعاناة التي بذلها المهاجمون للدرعية، ثم مسيرة القتال حتى آخر رمق من جهد.

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٦؛ وانظر كذلك الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١٤٨. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠ أن إبراهيم باشا استولى على ضرما عنوة في اليوم السابع والعشرين من ربيع الآخر، وقتل من أهلها حوالي ألف وثلاثمئة رجل ونهب البلد وأخلاها من أهلها.

لقد واكبت استعدادات المدافعين عن الدرعية عظم المواجهة والدفاع عن حمى الوطن. وفي هذا الجانب عمل الإمام عبدالله بن سعود على ترتيب المدافعين عن الدرعية من أهلها، أو ممن لجأ إليها خوفاً من بطش جيش إبراهيم باشا، أو ممن أجلاهم من البلدان النجدية التي تمكن من دخولها في حملته، وقد تمركز هؤلاء في بطن الوادي وعن يمينه وعن شماله خارج النخيل والسور. وقد فصل ابن بشر أسماء القادة الذين رتبهم الإمام عبدالله والأماكن التي تمركزوا بها، ومنها يتضح أن أغلبهم من أمراء الدولة السعودية، ومنهم قادة من أهل البلاد النجدية التي تضمها منطقة الرياض في الوقت الحاضر مثل منفوحة والحريق وبلاد سدير. فمن أمراء آل سعود فيصل بن سعود وأخواه إبراهيم وفهد، وسعد بن سعود وأخوه تركي، وفهد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وسعود بن عبدالله بن محمد بن سعود، وعبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وعمر بن سعود بن عبدالعزيز وأخوه حسن، وتركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأخوه زيد، وفهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود، ومشاري بن سعود بن عبدالعزيز، وسعود بن عبدالله بن محمد ابن سعود ومملوكه فرج الحربي. ومن القادة الآخرين عبدالله بن مزروع على رأس أهل منفوحة، وتركي ابن عبدالله الهزاني على رأس أهل الحريق وغيرهم، ومعهم رجال من آل دغيثر، وعبدالله بن أحمد بن راشد العريني على رأس أهل سدير.

أما الاستعداد المادي والتنظيم الميداني فقد كان نوعياً أكثر منه كمياً ويمثل كل ما تستطيع الدولة السعودية حشده لمواكبة عظم المسؤولية. وقد استطاع الإمام عبدالله بن سعود حشد أكثر من ثلاثة آلاف رجل موزعين على عدد من المتاريس في أطراف المدينة، وحول أشجار النخيل. كما وضع الإمام عبدالله لأول مرة في تاريخ المجابهة بين الدولة السعودية وقوات إبراهيم باشا عدداً من المدافع قدرتها الوثائق العثمانية ما بين ٨-١٠ مدافع بعضها لاستخدامها في الحرب والبعض الآخر لحماية السكان، فقد كان مع فيصل بن سعود ثلاثة مدافع، ومع عبدالله بن أحمد بن راشد العريني وأهل سدير مدفع واحد. ليس هذا فحسب بل تم ترتيب البروج في أنحاء المدينة والتي بلغ عددها ما بين ٣٠-٤٠ برجاً متيناً مستحكماً، وأقام فيها رؤساء أهلها وأشياخهم والعاجزين منهم الذين لا يستطيعون الحرب أو المسير، وقد وضع لكل برج مدفعاً لحماية سكان البرج.[١] وفي مجال التنظيم الميداني قام الإمام عبدالله بن

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٨، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ.

سعود بوضع خطة عسكرية محكمة تتضمن إقامة ثلاثة خطوط للمواجهة أول أو أمامي، وخط الوسط وخط النهاية. وقد ساعدت هذه الخطة على طول أمد الحصار وكلفت جيش إبراهيم باشا خسائر كبيرة في العتاد والرجال.(١)

أما استعدادات إبراهيم باشا وقواته لهذه المواجهة فقد كانت أعظم مما قام به في حروبه السابقة وذلك لأن المواجهة في الدرعية تُعد المعركة الفاصلة وعلى نتيجتها يتوقف الحكم على نجاح حملته أو فشلها، ولهذا فمن الطبيعي أن يستعد لها بأفضل ما يملك من عدة وعتاد ورجال. ليس هذا فحسب بل إنه أرسل إلى والده في مصر وأوضح له أهمية فتح الدرعية ومدى استعدادات القوات السعودية، وأفاد أنه على الرغم أن لديه مبالغ كثيرة ومقذوفات إلا أن ما يتوقعه من طول مدة الحصار والرغبة في انتصار جذري لن يتحقق إلا بإمداده بالمال والمقذوفات والجنود المشاة.(٢)

وفي مسيره إلى الدرعية توخى إبراهيم باشا الحذر حيث سار عبر الحيسية ثم وادي حنيفة قرب بلدتي العيينة والجبيلة، ثم سار في الوادي حتى نزل الملقا وهو نخل معروف لعبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود على بعد مسيرة ساعة عن الدرعية وذلك في أول شهر جمادى الأول ١٢٣٣هـ/ مارس ١٨١٨م وهناك أقام خيامه ومعسكره.(٣) ومن هذا المكان قام إبراهيم بجولة استطلاعية على الدرعية لتحديد أنسب مكان لإقامة جيشه. وقد وجد أن الدرعية تتألف من خمسة أحياء لكل منها سور عليه باب، وفيها عدد من الحصون والأبراج، وقدر محيطها باثني عشر كيلومتراً. وعندما وصل إلى نخل الأمير فيصل بن سعود المعروف بالعلب أدرك الحاجة إلى قوة كبيرة لدخول الدرعية. وهناك حصل

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه الاستعدادات ومواقع المقاتلين والمدافعين انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٩٧-٣٩٩؛ الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص١٧٢.

(٢) دار الوثائق القومية، من إبراهيم إلى محمد علي، محفظة ٥ بحر برا، وثيقة رقم ١٨٦، بتاريخ ١٧ ربيع ١٢٣٣هـ ٢٥ يناير ١٨١٨م، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق ص٣٤٩.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٦.

مناوشة بينه وبين قوات الدرعية ثم رجع إبراهيم باشا إلى مقر جيشه في الملقى حيث أقام هناك يومين أو ثلاثة.[١]

ويبدو أن الظروف العامة للقوات المصرية في شبه الجزيرة العربية كانت مواتية ومشجعة للجيش المصري المرابط في الدرعية على الأقل من الناحية النفسية حيث تمكنت قوات حسن باشا من التغلب على آخر المعاقل في عسير وتهامة ونجران.[٢] وفي يوم الثلاثاء الثالث من شهر جمادى الأول عام ١٢٣٣هـ/ مارس ١٨١٨م ارتحل إبراهيم باشا بجيوشه ومعداته ومدافعه عن طريق الوادي إلى الدرعية، كما وضع بعض الفرق من جيشه يمين الوادي وشماله باتجاه أهل الدرعية. وفي غرة جمادى الآخرة ١٢٣٣هـ/ ٦ إبريل ١٨١٨م اقتربت الجيوش المصرية من الدرعية وبدأ إبراهيم باشا يرتب مواقع قواته مستعيناً بالضابط الفرنسي فيسير Vassiere ثم بدأ بحفر الخنادق وإقامة المتاريس.[٣]

وخلال خمسة أيام مع لياليها اشتعلت الحرب بين الطرفين جرى فيها قتال عنيف ذكرت المصادر النجدية والوثائق العثمانية تفاصيلها، حيث هاجم جيش إبراهيم باشا المتاريس السعودية من الطرف الشمالي بالخيالة والمشاة وتمكنوا من هدم أحد الأبراج وإزالة أحد الأسوار، ثم حصلت مجابهة بالسيوف داخل الأبراج. وقد قتل في هذه الملحمة ألفان وأربعمائة رجل من جيش الدولة السعودية وجرح خمسمائة، كما قتل من جيش إبراهيم باشا القائد أبو شنب أحمد آغا وعشرة من صغار القادة وخمسمائة من الخيالة والمشاة وعدد من رجال حاشية إبراهيم باشا.[٤] والواقع أن جيش الدولة السعودية لا تنقصه الشجاعة بقدر ما تنقصه أساليب الحرب وخططها، بالإضافة إلى قلة الإمكانات العسكرية مقارنة مع

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٩٦-٣٩٧؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٩. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠، أن إبراهيم باشا أقام في الملقى يومين أو ثلاثة ثم ارتحل منه يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأول ونزل العلب حيث وقع بينه وبين أهل الدرعية وقعات كثيرة.

(٢) دار الوثائق القومية، من حسن باشا إلى محمد علي، محفظة ٤، وثيقة رقم ١١٨، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢هـ ١٢ يونية ١٨١٧م، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٩.

(٣) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٩.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

جيش إبراهيم باشا الأكثر تنظيماً وتخطيطاً، الذي يملك مدفعية قوية. وبعد عشرة أيام من النزال اشتعلت حرب أكثر ضراوة وسميت الوقائع الشديدة بأسماء اشتهرت بها مثل وقعة المغيصيبي والحريقة، ووقعة غبيرا. وفي هذه المرحلة رجحت كفة جيش إبراهيم باشا بسبب حصوله على معلومات من رجال من أهل البلد أخبروه عن عوراتهم، ومنهم قائد خيالة الإمام عبدالله، وعن مواطن الضعف لدى جيش الدولة السعودية ولذلك انهزم أهل الدرعية في وقعة سمحة النخل المعروف أعلى الدرعية. وبعدها اشتد القتال وغير إبراهيم باشا من مواقع مدافعه وركزها على الجهة الجنوبية، وفي الوقت نفسه كانت المدافع تضرب الدرعية من الجهة الشمالية. أما إبراهيم باشا نفسه فقد سار بمدافعه عبر الوادي إلى البروج الكبار على يمين الوادي وشماله واحداً بعد الآخر. وبعد معارك شديدة انهزم جيش الدولة السعودية وتراجع إلى النخل المعروف بالسلماني على ضفة الوادي. وفي هذا الموضع قاتل أهل الدرعية قتال الأبطال رغم تفوق عدوهم عدداً وعدة واستطاعوا في النهاية رد جيش إبراهيم باشا عنهم، وقد سقط عدد كبير من القتلى من الجانبين. وبعد ذلك استجمع أهل الدرعية جموعهم في بطن الوادي عن يمينه وشماله وأقاموا لهم مساكن مؤقتة تسمى محاجي بنوها بالحجارة وأحكموها ونزل فيها المقاتلون جماعات. وفي المقابل بنى جيش إبراهيم باشا محاجي مماثلة، وكانوا ملازمين لأهل الدرعية ليلاً ونهاراً.

وفي هذه المرحلة من القتال حرك إبراهيم باشا قواته عن معسكره القديم ونزل بنفسه ومعه مدافعه وجيشه وعسكر في الموضع المعروف بقرى قصير شمال البلد. كما رحل أكبر قواده واسمه علي أزن من موضعه في الجنوب وعسكر قبالة محاجي أهل الدرعية ونشب قتال بين الطرفين وصفه ابن بشر "بأنه لم ينقل مثله عن الأواخر والأوائل، وصار في كل يوم ووقت قتال، واستمر دائماً بالغدو والآصال، وتضاربوا من المحاجي بالبنادق والسيوف والقرابين، وتطايرت القبوس والقنابر في الجو كأنها رجوم الشياطين". وقد استمرت الحرب في كل مكان تقريباً وانشغل المدافعون في كل جهة بما أمامهم وضعف ارتباطهم بعضهم البعض حتى إن من يحارب في جهة من البلد لا يعلم حال الذين هم في الجهة الأخرى. ومع كل تلك الشدة صمد أهل الدرعية وسقط منهم ومن أعدائهم عدد كبير من القتلى والجرحى.

ومرة أخرى يدرك إبراهيم باشا عظم المواجهة وقوة المقاومة من أهل الدرعية، ومن هناك من مصر يدرك محمد علي باشا أن سقوط الدرعية لن يكون بالأمر اليسير وخاصة بعد أن طال أمد الحرب في

الدرعية التي زادت على ستة أشهر فأرسل العساكر المتتابعة من مصر إلى الدرعية خلال الأسابيع والأشهر التي استمرت فيها الحرب ومعها قوافل الطعام والأمتعة، كما أرسل قوة إضافية بقيادة خليل باشا.[١] وفي الجانب المقابل كان أهل الدرعية والمقاتلون منهم على وجه الخصوص في تناقص واضح، مع عدم وصول أية إمدادات بشرية أو أطعمة، كما أن بعض المقاتلين من أهل البلاد الذين لجؤوا إليها عندما سقطت بلادهم في يد إبراهيم باشا استغلوا فرصة توقف القتال في بعض الفترات ونجوا بأنفسهم غير مدركين للخطر الذي ينتظرهم في المستقبل تحت حكم محمد علي باشا ممثلاً للدولة العثمانية.

وبعد ذلك استؤنف القتال أو بالأصح اشتدت ضراوته وحصلت عدة وقائع مشهورة مثل وقعة البليدة التي حصل فيها قتال لم ترجح فيه كفة أي من الطرفين، ثم جرت موقعة شعيب قليقل وهي أشد من الموقعة السابقة. وفي خطوة ميدانية أراد إبراهيم باشا صرف الضغط عن قواته فوجه فرقة من جيشه إلى بلدة عرقة القريبة من الدرعية حيث جرى هناك قتال عنيف سقط فيه من أهل عرقة حوالي ثلاثين رجلاً، وهرب باقي سكانها إلى الدرعية بعد أن استولى جنود إبراهيم باشا عليها وأشعلوا فيها النيران. ومرة أخرى أرسل إبراهيم باشا عدداً من الخيالة إلى بلدة عرقة وقت نضوج ثمر النخل وأخرجوا من كان يحميها من مقاتلي الإمام عبدالله بن سعود الذين عينهم لهذه المهمة وكان عددهم حوالي مائة رجل. وفي وقت الثمرة سار إبراهيم باشا إلى بلدة عرقة مع عسكره ومعه عدد من الرجال الذين أيدوه من أهل الرياض ومنفوحة والخرج وغيرهم[٢].

وفي هذه المرحلة وبعد طول الحصار وندرة الطعام داخل الدرعية، وما أصاب المرابطين من الملل والسأم من القتال هرب بعض المقاتلين من داخل الدرعية، كما التجأ بعضهم إلى قوات إبراهيم باشا. ومما زاد الطين بلة وقت في عضد أهل الدرعية ما ظهر للعيان من ممالأة زعماء بعض البلاد النجدية وبعض رجالها لإبراهيم باشا. فمن جوانب تلك الممالأة أن بعض زعماء نجد الذين انضموا إلى إبراهيم باشا أشاروا عليه، بعد أن طالت عليه الحرب وبدأ جنوده يتململون، بأن يأخذ من أهل البلاد النجدية المؤيدة للدرعية رجالاً يقاتلون معه، وقد رحب بالفكرة ونفذها في الحال حيث أخذ من كل بلد مجموعة من الرجال وسار بهم إلى الدرعية. وفي الطريق هاجم بلدة عرقة وحاصر أهلها وضربهم بالمدافع حتى طلبوا الأمان على دمائهم وسلاحهم وخرجوا إلى الدرعية.

---

(١) دار الوثائق القومية، من إبراهيم إلى محمد علي، محفظة ٥ بحر برا وثيقة رقم ٩٤، تاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ/ ١٣ يوليو ١٨١٨م، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٢.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، جـ١، ص ٤١٠.

ومن الأمور المهمة في ملحمة الدرعية ما حصل من انفجار في مخزن البارود في جيش إبراهيم باشا في يوم ١٨ شعبان ١٢٣٣هـ/ أواخر يونيو ١٨١٨م وكاد أن يقلب موازين الحرب لصالح جيش الدولة السعودية، وقد اعترف به محمد علي باشا في رسالة للسلطان العثماني، واستغله من أجل طلب المزيد من الذخائر لكنه ذكر في رسالته أن ما حدث هو حريق في مستودع الذخائر ولم يذكر الانفجار.(١) لقد وصف الجبرتي وابن بشر هذا الانفجار وما نتج عنه من اشتعال النار في مخازن جيش إبراهيم باشا. أما الانفجار فكان شديداً إلى درجة أنه سمع صوته على مسيرة ثلاثة أو أربعة أيام، ثم قضت النار التي اشتعلت بإذن الله ثم بسببه على كل ما هو موجود في المخازن من البارود والرصاص والخيام والأطعمة والأثاث، كما هلك بسبب الانفجار والحريق عدد كبير من الرجال والخيل. أما من بقي من الجيش فقد هربوا واحتموا برؤوس الجبال، وأصابهم الرعب والوهن. يقول ابن بشر "وهمّ أهل الدرعية أن يحملوا عليهم في خيامهم ويدهموهم فيه فلم يفعلوا، وكان أمر الله قدراً مقدورا" ومع الإيمان بأن كل ما يجري في هذا الكون مقدر من الله عز وجل، إلا أن ابن بشر لم يفسر سبب عدم اغتنام أهل الدرعية هذه الفرصة الكبيرة، خصوصاً وأن سبب الانفجار دبره رجال من الدرعية كما يروي المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي الذي ذكر أن الحادث وقع كما يروي "نجاب جاء إلى مصر وأخبر أن إبراهيم باشا ركب إلى جهة من نواحي الدرعية لأمر يبتغيه وترك عرضية فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة وأحرقوا الجبخانة". ومما يدل على الآثار النفسية السيئة لدى أفراد جيش إبراهيم باشا في هذه المرحلة من ملحمة الدرعية أن عدداً كبيراً منهم عادوا إلى بلادهم.(٢)

وفي ميدان القتال توانى أهل الدرعية عن استغلال فرصة الانفجار، بينما استجمع أفراد جيش إبراهيم باشا قوتهم وثبتوا للقتال، وفي الوقت نفسه وصلته إمدادات من الجنود والعتاد من مصر حيث ذكر محمد علي باشا في رسالة إلى السلطان أنه أرسل إلى إبراهيم باشا عسكراً وقادة وذخائر، وأن القائد عثمان أغا تحرك من السويس على رأس ستمائة من المشاة، وأن الباشا سيلحق به مع خدمه وأتباعه

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٥، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

(٢) الجبرتي، عبدالرحمن، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٣١٠.

وباقي مشاته.[١] كما بعث إبراهيم باشا أعوانه إلى بعض البلاد النجدية وأخذوا ما فيها من مخزون الذخائر، كما جاءته إمدادات من القوافل من البصرة والزبير، ومن أهل نجد المقيمين فيهما لاختلافهم مع الدولة السعودية، وكانت هذه القوافل تحمل الطعام من الأرز والحنطة، بالإضافة إلى حاجات العسكر من التنباك وغيره. كما وصلته إمدادات تشمل حاجات الجيش من مختلف البلاد النجدية. وقد فعلت تلك الإمدادات فعلها فنشط أفراد جيش إبراهيم باشا وزادت الثقة بأنفسهم. ومن جهة أخرى أدرك إبراهيم باشا العامل النفسي في الحرب وأعطى الأمان لكل من يخرج من الدرعية من المقاتلين من أهل الدرعية والمقيمين فيها من أهل البلاد النجدية.

وعندما استؤنف القتال في مراحله الأخيرة رجحت كفة جيش إبراهيم باشا وسقط عدد من قادة جيش الدولة منهم فيصل بن سعود بن عبدالعزيز. وفي هذا الوقت حصلت عدة معارك مشهورة مثل وقعة كتلة الشعيب في الجهة الغربية من الدرعية، ووقعة الرفيعة وهي من المواقع الكبيرة التي صمد فيها أهل الدرعية وقاوموا جيش إبراهيم باشا بكل بسالة. ورغم انهزام جيش إبراهيم باشا في بعض الفترات لكن إمكاناته العسكرية من الرجال والعتاد سرعان ما تسعفه في أحلك الظروف وخصوصاً من ساعده من زعماء نجد مثل الرياض والخرج، وقد سقط في هذه الموقعة عدد كبير من القتلى من الجانبين، ثم حصلت عدة معارك بعد ذلك لكنها أقل شدة من سابقتها.

وفي هذا الوقت العصيب من القتال المضني حصل أمر فت في عضد جيش الدولة السعودية وقوّى من عزيمة جيش إبراهيم باشا وهو خروج قائد خيالة الإمام عبدالله واسمه غصاب من الدرعية وانضمامه إلى جيش إبراهيم باشا. ولم نجد في المصادر المعاصرة تعليلاً لسبب خروجه، وهل كان على خلاف مع قادة الدولة السعودية، أم كان بإغراء من إبراهيم باشا. ومهما كان سبب هذا التحول، فإن ما يهم هو النتيجة التي ترتبت على ذلك وهي الأمر المهم فقد ترتب عليها تحول في ميزان القوى لصالح قوات إبراهيم باشا.

على أن أموراً أخرى كانت لها آثار سلبية، بل إنها من الأمور المهمة التي كان لها تأثير كبير على مجريات الحرب بالنسبة لجيش الدولة السعودية، وهي أن الذين انضموا إلى جيش إبراهيم باشا، من

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٥، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٩ رمضان ١٢٣٣هـ.

المقاتلين أو حتى من عامة الناس، أفشوا أسراراً عسكرية ودلوه على أسهل الطرق والمسالك التي تسهل عليه الوصول إلى أهداف داخل الدرعية، وقد ترتب على حصوله على تلك المعلومات أن تمكن من هدم كثير من الحصون والمتاريس في المدينة بالمدفعية. وقد وصف ابن بشر ذلك بقوله "وذلك أنه لما خرج من خرج من أهل الدرعية وغيرهم منها إلى الباشا، أخبروه بعوراتهم وغراتهم وأخبروه بالموضع الذي ليس في أهله شدة في الحرب وبالموضع الذي يتفرقون عنه بالليل، وبالموضع الذي ليس فيه إلا قليل وبالموضع الذي يدخلون منه على أهل الدرعية وهم لا يعلمون". (١) ونتيجة لذلك قام إبراهيم باشا بهجوم كبير في صباح يوم السبت الثالث من شهر ذي القعدة على قوات أهل الدرعية من جهاتها الأربع الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية وأرغموهم على التراجع، وركز إبراهيم باشا وقواده الهجوم على الجهتين الشمالية والجنوبية تغطية على فرق من الجيش حتى تستطيع أن تدخل من الجهتين الشرقية والغربية حيث استطاعوا الدخول من الجهة التي كان يرابط فيها عبدالرحمن بن سعود فوق مشيرفة، نخل سعود بن عبدالعزيز ودخلوا معه وسط النخل واستولوا عليه. (٢) وفي هذا الوقت وقعت الحرب النهائية وحمي وطيس القتال وسقط عدد كبير من القتلى من الجانبين من بينهم إبراهيم بن سعود بن عبدالعزيز، وتفرق أهل الدرعية جماعات كل جماعة في منزلة. وكان من أشرس المعارك ما حصل لقصر غصيبة، الذي بناه الإمام سعود بن عبدالعزيز وجعل بابه من حديد، حيث تحصن به الأمير سعد بن عبدالله بن سعود ومعه عدد من الأعيان. وعندما علم إبراهيم باشا ركز الهجوم على هذا الحصن وجلب مدافعه بالقرب منه وأخذ يرميه بالمدافع حتى ثلم رؤوس البرج وجدرانه. (٣) وفي الوقت نفسه اجتاح جنود إبراهيم باشا الدرعية ودخلوا بعض البيوت حيث حصل قتال عنيف بين أهل السهل من أهل البجيري والحوطة والنقيب والمريح وبين جيش إبراهيم باشا، واستطاع أهل الدرعية الحفاظ على منازلهم. أما الإمام عبدالله بن سعود ومن معه من الأعيان فكانوا في منزلهم بين باب الظهرة وباب سمحان، وعندما أدرك الإمام عبدالله حرج الموقف نقل مقر قيادته من سمحان إلى بيته في الطريف تاركاً مدافعه وعتاده في موضعه الأول. (٤)

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٤١٤؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٢.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٤١٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ج١، ص ص٤١٥-٤١٦.

أما الفصل الأخير من هذه المواجهة فقد كان أكثر شراسة، وكان الوضع يميل إلى صالح جيش الدولة السعودية لكن الوقت كان متأخراً، وربما جاءت هذه الفرصة بعد فوات الأوان. قام إبراهيم باشا بنقل مدافعه وعتاده وجنوده ونزل في منزل الإمام عبدالله وركز هجومه على باب الظهيرة، وفي الوقت نفسه تفرق جنود إبراهيم باشا داخل الدرعية ودخلوا بعض البيوت والنخيل وكادوا أن يأخذوا البلد عنوة واشتد القتال. وفي هذا الوقت فكر بعض قادة جيش الدولة بالمصالحة لكن آخرين اشترطوا لكي يتم الصلح أن يتم إخراج عساكر إبراهيم باشا من داخل الدرعية، من البيوت والنخيل، وقتل ما أمكن منهم. وبالتأكيد فإن هذا الشرط غير ممكن التنفيذ، خصوصاً أن كفة القتال في هذا الوقت كانت في صالح جيش إبراهيم باشا. ويبدو أنه حصل نوع من التفاوض على الصلح لكن إبراهيم باشا رفض كما سيأتي تفصيله. وعلى العموم فإن النتيجة الحتمية هي استمرار القتال ولهذا استعد المقاتلون في الدرعية للقتال دفاعاً عن أنفسهم وأموالهم وبلادهم، وقد تزعم هذه اليقظة القتالية الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن انضم إليه من أهل البجيري حيث حصل بينهم وبين جيش إبراهيم باشا قتال عنيف وصفه ابن بشر بقوله "وقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود، فأظلمت الهجيرة كأنها الليل وصريخ السيوف في الرؤوس كأنه صهيل الخيل فأخرجوهم منها صاغرين وقتلوا من الروم (جيش إبراهيم باشا) عدة مئين حتى قال لي بعض من حضر ذلك: لو حلفت بالطلاق أني من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني لم أطأ إلا على رجل مقتول لم أحنث".[1] وقد كان لهذه المعركة وقع سيئ على أفراد جيش إبراهيم باشا فأصابهم الوهن والخوف.

ويبدو أن المعركة الأخيرة أدت دورها الحاسم في وضع نهاية لهذه الحرب التي لم تشهد البلاد السعودية مثيلاً لها طوال حملات محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية، ولهذا فعندما طلب زعماء الدرعية من إبراهيم باشا الصلح وافق بعد أن كان رافضاً له. كان الجانب السعودي في المفاوضات برئاسة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، والأمير محمد بن مشاري بن معمر، والشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. كانت مطالبهم أن يصالحهم إبراهيم باشا على البلد كلها، فرفض أن يصالحهم إلا على أهل السهل أو يحضر الإمام عبدالله بن سعود، ولم يوافق المفاوضون السعوديون فانتهت المفاوضات بالفشل وذلك في يوم الأربعاء السابع من شهر ذي القعدة.

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ج١، ص ٤١٦.

تسليم الدرعية:

وبهذه النتيجة استؤنف القتال وركزت قوات إبراهيم باشا على محاربة الإمام عبدالله بن سعود حيث نشب قتال شديد، وخاصة على أهل الطريف من مختلف الجهات الأربع، واستخدم جيش إبراهيم باشا في هذا الهجوم المدافع من رأس جبل باب سمحان. وقد أدى هذا الهجوم المكثف إلى تهديم مقاصير آل سعود وطمع جيش إبراهيم باشا في أخذها عنوة لكن الله لم يمكنهم من ذلك. وفي خضم هجوم جيش إبراهيم باشا على الأهداف الحساسة في الدرعية ومنها قصور آل سعود أخرج الإمام عبدالله بن سعود المدافع الموجودة في القصر ووضعها في مسجد الطريف، ثم أخذ يرمي جيش إبراهيم باشا بعد أن انضم إليه رجال كثيرون من أهل البجيري والأماكن الأخرى واستمر على ذلك مدة يومين. ولأسباب تتعلق بالحالة النفسية لدى أهل الدرعية والقاطنين فيها من المقاتلين بدأ كثير من المقاتلين يتفرقون عن الإمام عبدالله، ولم يثنهم عن تخاذلهم ما بذله لهم من أموال، بل بلغ بهم الانهزام النفسي واستغلال الفرص أنهم يأخذون المال ويهربون.

وفي موقف إنساني ورجولي وبطولي أدرك الإمام عبدالله أن الأمر لا يحتمل أكثر من ذلك وخشي أن يأتي الأمر على النساء والأطفال، كما أدرك أن مقاومته في هذه المرحلة لم تعد مجدية فقبل الصلح على مضض. يقول ابن بشر في ذلك "فلما رأى عبدالله ذلك بذل نفسه للروم وفدى بها عن النساء والولدان والأموال، فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة، فأمره أن يخرج إليه فخرج إليه وتصالحا على أن يركب إلى السلطان فيحسن إليه أو يسيء". [١] وقد كان خروج الإمام عبدالله إلى معسكر إبراهيم باشا في ٨ ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ ٩ سبتمبر ١٨١٨م حيث قابله إبراهيم باشا وتم الاتفاق بينهما على تسليم الدرعية لإبراهيم باشا، وأن يبقي عليها ولا يؤذي سكانها، وأن يسافر الإمام عبدالله إلى مصر ومنها إلى استانبول لمقابلة السلطان العثماني. [٢] وفي الوقت الذي تم فيه تنفيذ الشرط الأول والثالث فإن الشرط الثاني لم يلتزم فيه حيث أعقب تسليم الدرعية انتقام قادة إبراهيم باشا وجنوده من بعض الزعماء والقادة من الجانب السعودي إما تشفياً أو وشاية من المغرضين وأصحاب الأهواء بحق أعيان أهل الدرعية والمقيمين فيها، وبحق بعض العلماء والصلحاء منهم، وقد ذهب أكثر من لحقه الانتقام بعد الحرب

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ج١، ص٤١٧.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٣.

بسبب الوشايات المغرضة، وبسبب الإشاعات عن مواقف بعض الزعماء والقادة والأعيان والعلماء في مواقف معينة ضد بعض قادة إبراهيم باشا وجنوده ظلماً وبهتاناً. وقد وصف ابن بشر مظاهر التعذيب التي تعرض لها أولئك النفر وصفاً تقشعر له الأبدان.(١)

وخوفاً من مصير مجهول هرب كثير من أعيان الدرعية الذين وقفوا طيلة ستة أشهر يجابهون جيش إبراهيم باشا. وفي هذه المناسبة يقول وايندر Winder إن معاملة إبراهيم باشا القاسية ليست فقط خلال الحرب لكن أيضاً بعد الاستسلام، حيث أمر الإمام عبدالله أن يستعد للسفر إلى مصر ثم إلى استانبول حسب الشرط الذي وافق عليه عبدالله وحيث يوجد السلطان العثماني حسب أوامر عليا. وفي رسالة من محمد علي باشا إلى السلطان ذكر أنه تم أخذ عبدالله بن سعود وأرسل إلى القاهرة بحراسة قوة عسكرية بقيادة رشوان آغا والدويدار مع أربعمائة من رجال إبراهيم باشا، كما رافقه رجال معتمدون، منهم كاتب الخزينة محمد أفندي الذي سيدلي بتقرير كامل عن الوضع في الدرعية، وعندما يصل مصر فإنه سيبعثه إلى استانبول فوراً.(٢) وقد رافق الإمام عبدالله في رحلته هذه ثلاثة أو أربعة رجال من أعوانه، وأمين سره الشخصي، وبعض عبيده، حيث وصل إلى القاهرة في ١٧ محرم ١٢٣٤هـ/ ١٦نوفمبر ١٨١٨م وقد قابله محمد علي مقابلة لائقة وتمت بينهما محاورة عن الحرب ونتائجها.(٣) وبعد ذلك غادر الإمام عبدالله مصر إلى استانبول في ١٩ محرم ١٢٣٤هـ/ ١٨ نوفمبر ١٨١٨م حيث طافوا به في البلد ثم قتلوه عند باب همايون، كما قتلوا أتباعه في أماكن متفرقة فذهبوا مع الشهداء.(٤) كما نقل عدد كبير من أسرة آل سعود وآل الشيخ إلى مصر بلغ عددهم مئتين وخمسة وثمانين شخصاً

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٤٢١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٨، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٢٧ ذي الحجة، ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٥٢، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٣هـ.

(3) Winder, Bayly, R (1965), **Saudi Arabia in the Nineteenth century**, Macmillan, New York, p. 19.

(٤) الجبرتي، عبدالرحمن، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٦٠٠. وانظر كذلك: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠.

أكثرهم من كبار السن والأطفال والنساء.[١] وكما تذكر الوثائق العثمانية استقبل هؤلاء في حدائق شبرا وجرى التعرف عليهم وحصرهم وتسجيل أسمائهم، كما جرى إسكانهم في القاهرة ونظم أمر مخصصاتهم اليومية. وفي تعليق للسلطان العثماني على رسالة والي مصر المرفق بها قائمة بأسمائهم وفئاتهم وجه بأنه ما دام أكثر هؤلاء من الشيوخ والمرضى والصبيان والنسوان فإنه من العبث تأديبهم أو إرسالهم للإقامة في محل آخر، فلتعط إليهم التعيينات بمقدار كاف وليسكنوا في مصر (القاهرة)، أو في ضواحيها، أو في أي مكان مناسب.[٢]

ومن جهة أخرى تذكر الروايات المتواترة أن محمد علي باشا رفض الشرط الثاني من المصالحة وأمر إبراهيم باشا بأن لا يترك الدرعية على حالها بعد هذه المشاق التي بذلت، فإما أن تهدم، أو إذا كان يلزم الاحتفاظ بها فيجب أن يترك فيها رجل وأن يأخذ مدافعها، أو أن تبقى وتربط بنظام حسن.[٣] ويبدو أن إبراهيم باشا اختار أسهل الحلول وأمر بهدم الدرعية قبل أن يغادرها دون مراعاة لأهلها أو تاريخها. يقول الألوسي واصفاً ومتعجباً مما قام به إبراهيم باشا من تهديم للدرعية "ورد في شعبان سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف من محمد علي باشا صاحب مصر إلى رئيس عسكره في نجد إبراهيم باشا وهو في الدرعية، أن يهدم الدرعية ويدمرها فأمر أهلها يومئذ أن يرحلوا عنها، ثم أمر العسكر أن يهدموا

---

(١) هناك تضارب في الروايات، وخاصة الوثائق العثمانية، حول عدد من نقل إلى مصر من أسرة آل سعود وآل الشيخ، فبعضها تذكر أن عددهم بلغ ٢٥٤ بالإضافة إلى الشيوخ المرافقين لهم وعددهم ٣٤ شخصاً. وبعضها تقدر عددهم ٢٥٨ فرداً. وبعضها تذكر أن عددهم كان ٣٥٠ فرداً. لكن الرواية الأولى هي الراجحة لأن الأسماء مرفقة بها. وللمزيد من المعلومات انظر هذه الوثائق: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٤-٨، من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا، تاريخ ٢١ جمادى الآخرة ١٢٣٤هـ؛ وثيقة رقم ٢/ ٤-١٠، من محمد علي باشا إلى وكيل شؤون ولاية مصر بالباب العالي، تاريخ ٢٠ رجب ١٢٣٤هـ؛ وثيقة رقم ٢/ ٤-٩، من محمد علي باشا إلى وكيل شؤون ولاية مصر بالباب العالي، تاريخ ٢٤ رجب ١٢٣٤هـ. وتستفسر الوثيقتان الثانية والثالثة عن كيفية التصرف مع هذه الأعداد، خاصة وأن أكثرهم من الشيوخ والمرضى والصبيان والنساء وعن التعيينات التي تصرف لهم، وطلب العفو عن المرضى والشيوخ والصبيان والنساء منهم. ويبدو أنه أطلق سراح بعضهم لينخفض العدد المذكور في الوثيقة الثالثة من ٣٥٠ إلى عدد يقارب ما هو مدون في الوثيقتين الأولى والثانية والله أعلم.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٨٤، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٢٤ رجب ١٢٣٤هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٩، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ. انظر كذلك: الرافعي، عبدالرحمن، (١٣٧٠هـ)، مرجع سابق، ص١٢٩.

دورها وقصورها! وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها! ولا يرحموا صغيرها!! ولا يوقروا كبيرها!! فابتدر العسكر إلى هدمها مسرعين، فهدموها وبعض أهلها مقيمون فيها، وقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور، والقصور، ونفذ فيها القدر المقدور، وأوقدوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان، فتركوها خالية المساكن، كأن لم يتوطنها متوطن ولا سكنها ساكن. وتفرق أهلها إلى النواحي والبلدان". [١] ولا شك أن عملية تخريب الدرعية تعتبر خرقاً للاتفاق الذي تم بموجبه تسليم الدرعية، وكان من المفروض، ما دام إبراهيم باشا لا يملك صلاحيات تنفيذ الصلح، أن يكون هناك إيضاح بأن تلك الشروط منوطة بموافقة محمد علي باشا حتى يكون الإمام عبدالله على بينة من أمره. لكن إبراهيم باشا نفى أن يكون أبوه هو المسؤول عن ذلك، لأنه كان ينفذ أوامر الباب العالي بهذا الخصوص. ومن خلال أهداف الحملة ومجريات الحرب فليس غريباً على محمد علي باشا هذا العمل. يقول أمين سعيد "تلك كانت خاتمة حملة محمد علي إلى نجد، بدأت بمجزرة القلعة بالقاهرة التي ذبح فيها ٤٦٩ إنساناً في وقت واحد، وانتهت بتدمير الدرعية أجمل مدن نجد وأكثرها عمراناً وسكاناً". [٢] وهكذا كانت هذه السنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م من أصعب السنوات على أهل نجد قاطبة، وعلى الدرعية بخاصة حيث نهبت منها الأموال، وسفكت فيها الدماء. وقد عبر الفاخري عن المآسي التي حصلت في هذه السنة شعراً بقوله:

عام به الناس جالوا حسبما جالوا ... ونال منا الأعادي فيه ما نالوا

قال الأخلاء أرخه فقلت لهم ... أرخت قالوا بماذا قلت (غربال)[٣]

---

(١) الألوسي، محمود شكري، (١٣٤٣هـ)، **تاريخ نجد**، تحقيق محمد بهجت الأثري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ص ٢٤-٢٥.

(٢) سعيد، أمين، (د.ت.)، مرجع سابق، ص١٢٩؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٤. وقد وقعت مذبحة القلعة عام ١٢٢٦هـ ١٨١١١م. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٣، أن عدد المماليك الذين قتلهم محمد علي باشا بلغوا ألف رجل. وانظر عن الموضوع كذلك:

Sadlier, G. F., (1866), Dairy of Journey Across Arabia from El Khatif in Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, during the year 1819, Bombay, p. 83.

(٣) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ١٥٠. وقد ذكر الشبل في تحقيقه لمخطوط الفاخري في نفس الصفحة معنى غربال أي المتاعب والمصاعب والمشكلات. أما معنى غربال بحسب الجمل فقد ذكر أنها: غ = ١٠٠٠ + ر = ٢٠٠ + ب = ٢ + أ = ١ + ل = ٣٠ المجموع ١٢٣٣ وهو تاريخ السنة. انظر كذلك: آل بسام، عبدالله ابن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠.

وبذلك سقطت الدرعية، عاصمة الدولة السعودية الأولى، وخضعت البلاد كلها لحكم محمد علي باشا تحت مظلة الدولة العثمانية. وكان إبراهيم باشا يخطط للتوجه إلى الأحساء بعد إتمام إخضاع الدرعية حيث تذكر الوثائق العثمانية أنه عند اقترابه من الدرعية أرسل يستفسر عن إمكانية السماح له بالتحرك نحو الأحساء بعد الدرعية، لكن السلطان العثماني رفض طلبه خوفاً من عدم القدرة على السيطرة على هذه البلاد. وقال رداً على رسالة محمد علي باشا "وحيث إن المطلوب في الأصل المحافظة على الحرمين فإن ذهاب إبراهيم باشا إلى الأحساء قد يؤدي إلى ضعف السيطرة على الحرمين مما يحتاج معه إلى فتح جديد". وعلى العموم فإن تعليمات السلطان تقضي بأنه عندما يتيسر إخضاع الدرعية تنظم أمورها الداخلية، ويوضع لمنطقة نجد كلها نظام واحد، وبعدها يمكن لإبراهيم باشا التوجه إلى المدينة.(١)

وقد عاد إبراهيم باشا إلى مصر في ٢٢ صفر ١٢٣٥هـ/ ٩ ديسمبر ١٨١٩م، حيث استقبل هناك استقبال الأبطال، لكنه رجع مغروراً متكبراً متنكراً للعلماء.(٢) وفي مصر أقيمت الاحتفالات بأمر من السطان العثماني الذي طلب أن تطلق المدافع خلال ثلاثة أيام وعلى ثلاث دفعات في كل يوم وإظهار السرور. وفي تعليق للسلطان ثمن ما قام به والي مصر محمد علي باشا حيث ذكر أنه مهما كان التلطف الذي سيمنح للمشار إليه أو لولده إبراهيم باشا لقاء هذه الخدمات فإنه ضئيل. كما أمر بأن يكافأ القادة الذين اشتركوا في هذه الحرب بالخلع والسمور وليعط لكل واحد منهم خمسة آلاف قرش.(٣)

وبذلك أسدل الستار على ملحمة طويلة من القتال والمجادلات في ربوع شبه الجزيرة العربية بدءاً بالحجاز ومروراً بالقصيم والوشم وضرما وانتهاءً بالدرعية، ثم تبعتها بلاد شرقي الجزيرة العربية. وبتسليم الدرعية تم طي صفحة مشرقة في حياة بلد شهد أقصى مظاهر القصف المدفعي، كما شهد أعظم مظاهر البطولات التي قام بها أهل تلك البلاد التي أصابها الابتلاء، يتقدمهم عدد من أفراد الأسرة السعودية وأسرة آل الشيخ الذين بقوا على العهد الذي بدأت به الدولة السعودية الأولى ومن أجله

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، ٧٤ من محمد علي باشا إلى السلطان، بتاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١- ٧٩ من محمد علي باشا إلى السلطان بتاريخ ١٢٣٣هـ.

(٢) الجبرتي، عبدالرحمن، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٦١٣؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٤.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٥٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٣هـ.

تكاتفت الأسرتان في الذود عن مبادئه.

وهكذا كان قدر مدينة الدرعية أن تشهد في بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري ولادة دولة جديدة في الجزيرة العربية، هي الدولة السعودية الأولى، وهي نفسها المدينة التي شهدت في بداية الثلاثينات من القرن الثالث عشر الهجري اضمحلال هذه الدولة بعد حياة حافلة بالنشاط الديني والسياسي استمر حوالي سبعين عاماً. وإذا كان من عزاء لقادة هذه الدولة، والمنتمين إليها، والمؤمنين بنهجها الديني الإصلاحي وسعيها إلى الاستقلال السياسي فإن ذلك تم بقيام الدولة السعودية الثانية على النهج نفسه وطبيعة تلك السياسة.(١)

عوامل سقوط الدرعية:

ومن خلال العرض السابق يمكن أن نجمل أهم عوامل سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا إلى ما يلي:

١- رغم ما يمتاز به أهل نجد من الإيمان والشجاعة والإقدام، واعتقادهم أنهم يقاتلون في سبيل غاية شريفة وهي نشر دعوة التوحيد، والدفاع عن بلادهم، إلا أن العامل النفسي، بسبب طول مدة الحرب والحصار، كان له أثره على المدافعين عن الدرعية، خاصة مع تعرضهم للقصف الشديد بالمدافع من قبل جيش إبراهيم باشا في الوقت الذي كانوا يستخدمون السلاح التقليدي من البنادق والسيوف عدا بعض المدافع القليلة القديمة.

٢- عدم تكافؤ قوة الدولة السعودية وقوة إبراهيم باشا، فعلى الرغم من التفوق النسبي لعدد جيش الدولة السعودية، إذا وضعنا في الاعتبار أن أهالي البلدان يعتبرون من ضمن هذا الجيش، إلا أن ذلك التفوق لم يكن كافياً أمام التفوق النوعي لجيش إبراهيم باشا سواء فيما يتعلق بالتخطيط للحرب أو التنفيذ أو نوعية الأسلحة المستخدمة، وخاصة المدافع التي تستطيع الرمي من مكان بعيد.(٢)

٣- انضمام عدد من زعماء نجد إلى جانب جيش إبراهيم باشا، مثل زعماء الخرج والرياض، كان له وقع سيئ على نفوس المقاتلين، وقد زاد الطين بلة انضمام قائد خيالة الجيش السعودي المتواجد في الدرعية إلى جانب إبراهيم باشا، وكان في الحقيقة قاصمة الظهر لأنه حصل في وقت عصيب

(١) للمزيد من التفاصيل الدقيقة والشاملة عن ملحمة الدرعية، وما جرى فيها من حروب وقصف بالمدافع. انظر: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٩٧-٤٢٢.

(٢) انظر سعيد، أمين، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص١١١-١١٣، حيث ذكر جملة من المقارنات بين قوة الدولة السعودية وقوة إبراهيم باشا من جميع النواحي.

بالنسبة للقوات السعودية بعد أن تكبدوا خسائر متوالية ومالت كفة القتال إلى جانب إبراهيم باشا.

٤- عدم استغلال جيش الدولة الفرص، وخاصة بعد حصول الانفجار الكبير والحريق الهائل في الجبخانة المصرية التي كان من الممكن أن تقلب موازين القتال لصالح جيش الدولة السعودية.

٥- وصول الإمدادات المتوالية إلى جيش إبراهيم باشا من الجنود والعتاد من مصر، فقد ورد في رسالة من محمد علي باشا إلى السلطان أنه أرسل إلى ابنه إبراهيم باشا منذ كلف بالتحرك إلى الدرعية خمسة أنواع من القنابل، من أوزان ٥ و ٧ و ٩ و ١٤ و ٢٤ أوقية حيث بلغ مجموعها ستين ألف قنبلة، حتى إنه لم يبق منها في مصر (القاهرة) وما حولها من القلاع إلا القدر القليل من القنابل.[١] وكذلك الإمدادات التي وصلت من المناوئين للدولة السعودية، وما أخذه إبراهيم باشا من البلاد النجدية بالإكراه، في الوقت الذي كان جيش الدولة السعودية يعاني من الحصار طوال ستة أشهر. وقد زاد من معاناتهم أن إبراهيم باشا منع أتباع الإمام عبدالله بن سعود من جني محصول التمر في بلدة عرقة، بل إنه أخذه لجنوده.

٦- لجوء إبراهيم باشا إلى استغلال العوامل النفسية لدى أهل الدرعية والمقيمين فيها مثل أخذه بعض الرجال من كل بلد واحتجازهم لديه رهينة للضغط على أتباعهم للتوقف عن الحرب، بالإضافة إلى سماحه بخروج سكان البلاد النجدية الأخرى من الدرعية.

وبعد فإن سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا واستسلام الإمام عبدالله بن سعود أدى إلى غياب الدولة السعودية، مؤقتاً، من مسرح الأحداث في الجزيرة العربية خصوصاً، والعالم الإسلامي عموماً. ومن دون جدال فإن سقوط الدولة السعودية الأولى كان له آثار بعيدة المدى دينية وسياسية واجتماعية.[٢]

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٥ من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٩ رمضان ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٢ من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان بوساطة رئيس الكتاب تاريخ ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٩٢، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٤هـ.

(٢) نظراً لاقتصار هذا البحث على منطقة الرياض في عهد الدولة السعودية الأولى فإن المجال لا يسمح بالاسترسال في الحديث عن نتائج سقوط الدولة السعودية والآثار التي ترتبت عليها. ولمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى المصادر والمراجع التي وردت في هوامش هذا البحث أو في قائمة المصادر.

نتائج سقوط الدرعية:

من خلال الصفحات السابقة يمكن استخلاص مجموعة من النتائج التي ترتبت على سقوط الدرعية ونهاية الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا قائد قوات والي مصر محمد علي باشا. ولا شك أن حرباً طويلة وشرسة أداتها المدافع ووقودها السكان وما يملكون، كان لها نتائج بعيدة المدى على المستوى الديني والسياسي والعسكري والنفسي، ليس فقط بالنسبة لأهل البلاد التي كانت تضمهم الدولة السعودية الأولى، وإنما في بلاد الجزيرة العربية قاطبة بطريق مباشر أو غير مباشر. ومع أن بسط الحديث عن هذه النتائج أمر مطلوب لبيان مدى الخسارة التي حلت بالبلاد؛ نتيجة غياب هذه الدولة، إلا أننا تحت ضغط التخصص الذي أعد هذا الكتاب من أجله سنختصر الحديث عن تلك النتائج العامة قدر المستطاع، لكننا سنركز الحديث على نتائج سقوط الدرعية ونهاية الدولة السعودية الأولى وآثارهما المباشرة على منطقة الرياض، وهي المنطقة التي عانت أشرس المعارك وأطولها خلال حملات قوات محمد علي باشا.

فمن الناحية الدينية والعلمية فقدت الدرعية، ومعظم بلاد منطقة الرياض، صفوة علمائها، الذين قتلوا خلال حرب الدرعية أو الذين نقلوا إلى مصر بعد انتهاء الحرب. ليس هذا فحسب بل إن غياب الدولة السعودية الأولى أدى إلى اضمحلال المقومات التي كانت السند بتوفيق الله لما أنجزته الدعوة الإصلاحية من تراث فكري وثقافي لم يكن من السهل إعادة بنائه. ورغم عودة الحكم السعودي متمثلا بالدولة السعودية الثانية، إلا أن تدمير الدرعية من جهة، وحداثة تكوين الرياض عاصمة للدولة من جهة أخرى، وخوف كثير من الناس من بطش قوات إبراهيم باشا من جهة ثالثة، لم يهيئ الجو المناسب لقيام نهضة علمية دينية سريعة على غرار ما كان موجوداً في الدرعية قبل سقوطها بيد إبراهيم باشا.

أما من الناحية السياسية فقد ترتب على سقوط الدولة السعودية الأولى وتدمير الدرعية عاصمة الدولة ورمز بقائها، أن أصبحت بلاد نجد تابعة لحكم محمد علي باشا. وقد أدى غياب السلطة المركزية إلى بروز ظاهرة التجزؤ التي قامت الدولة السعودية الأولى للقضاء عليها. وقد شمل التفرق كافة بلاد شبه الجزيرة العربية، ومنها ما يخص منطقة الرياض، حيث عادت بعض الأسر التي كانت تحكم مناطق محددة؛ مثل آل زامل في الخرج، وآل معمر في العيينة، وآل مبارك في حريملاء. وقد كانت عودة هذه

الأسر لحكم بلادها أمراً متوقعاً نتيجة لضعف الحكم، لكن حكم هذه الأسر تلاشى بعد قيام الدولة السعودية الثانية وانضوائهم تحت سيادتها.

أما من الناحية الاجتماعية فقد أدت الحرب الطويلة في بلاد منطقة الرياض، وخاصة في شقراء وضرما والدرعية إلى تشتت الأسر بذهاب عائلها أو تعطله، إما بالقتل خلال الحرب، أو بالأسر، أو بالإعاقة. وكما أوضحنا سابقاً خلال حرب الدرعية فإن كثيراً من المقاتلين انضموا إلى جيش الدولة للدفاع عن الدرعية لكن أكثرهم لم يعد إلى بلاده. ومن جهة أخرى كان لشراسة المعارك في منطقة الرياض، وخاصة في الدرعية باعتبارها رمز بقاء الدولة، وحرص قوات إبراهيم باشا على استسلامها بأي ثمن حتى لو استدعى الأمر قتل جميع سكانها، أثر في سقوط عدد كبير من القتلى والمعاقين بأعداد كبيرة كما أوضحنا سابقاً. ليس هذا فحسب، بل ترتب على فترة الحرب الطويلة ووجود أعداد كبيرة من الجنود أن انتشرت بعض الأزمات النفسية، والأمراض المعدية، والعادات السيئة مثل شرب الدخان وغيره مما لم يكن معروفاً في هذه البلاد من قبل.

ولا شك أن بيان الصورة الحقيقة لمدى الآثار الاجتماعية التي نشأت بسبب هذه المعارك والتي تأثر بها مباشرة سكان منطقة الرياض، يكمن فيما خلفته هذه الحرب من آلاف القتلى والجرحى والمشوهين والثكلى واليتامى. ومع أن الكتب المعاصرة لا تولي أهمية كبيرة للإحصائيات عن القتلى والجرحى فقد ذكر ابن بشر نقلاً عن شخص قريب من حكومة محمد علي باشا في ذلك الوقت، أرقاماً كبيرة لعدد القتلى، خاصة من جيش إبراهيم باشا. يقول في ذلك "وذكر لي رجل ظهر من مصر ممن جلى مع آل سعود، وقال إن كاتب الباشا ذكر لنا في مصر أن الذي هلك من العسكر من ظهوره من مصر إلى رجوعه إليه اثنا عشر ألف رجل" ويحلل ابن بشر هذا الرقم بقوله "فقلت: فعلى هذا القول فالذي قتل من العسكر في الرس وعنيزة وشقراء وبلد ضرما بالتخمين إن أكثرنا فألفان، وإن قللنا فألف وخمسمائة والباقي في الدرعية" ثم يذكر أن عدد من قتل من أهل الدرعية والمقيمين فيها من أهل النواحي يقدر بألف وثلاثمائة رجل. ولا شك أن هذا الرقم الذي أورده ابن بشر لا يشمل سوى المقاتلين، أما من قتل من أهل الدرعية خلال الحصار والقصف فلا شك أنه سيرفع عدد القتلى إلى رقم أكبر مما قدّره. ومع ذلك فإنني أعتقد أن ما ذكره ابن بشر من أرقام عدد القتلى في الجانب السعودي يُعد متواضعاً مقارنة

بالعدد الذي ذكره عن عدد القتلى من جانب قوات محمد علي باشا، أو مقارنة بطول فترة الحرب التي قاربت ستة أشهر. وقد ذكرنا سابقاً استناداً إلى إحدى الوثائق العثمانية أنه قتل من الجانب السعودي في أول معارك الدرعية فقط ألفان وأربعمائة.[١] ولو افترضنا أن هناك مبالغة في هذه الرواية عن تقدير عدد القتلى من الجانب السعودي، إلا أن العدد يبقى كبيراً بحكم تعدد المعارك واستخدام الأسلحة الحديثة، وخاصة المدافع، من جانب جيش إبراهيم باشا والله أعلم.

ومن جهة أخرى سمّى ابن بشر بعض من قتلوا في هذه الحرب من أهل بلاد منطقة الرياض، ومنهم واحد وعشرون رجلاً من أسرة آل سعود، كما قتل عدد من أسرة آل الشيخ، وقتل من أهل العيينة خمسة عشر رجلاً، ومن أهل الوشم ما يقارب مائة رجل، ومن أهل الحريق والحوطة نحو ثلاثين رجلاً، ومن أهل ثادق والمحمل ما يقارب أربعين رجلاً، ومن أهل عرقة مثلهم، ومن أهل منفوحة أكثر من خمسين رجلاً. كما قتل عدد كبير من أهالي حريملاء والعيينة والأفلاج وسدير والقصيم لم يذكر عددهم ابن بشر. أما الوثائق العثمانية فقد ذكرت أسماء بعض من قتل أو أسر من أتباع الإمام عبدالله بن سعود، ومنهم: سعود، عم الإمام عبدالله الذي أخذ وقتل، وكذلك أخوه إبراهيم الذي أصابته رصاصة فمات. أما محمد بن مشاري وعلي بن الشيخ فقد قبض عليهما فطلبا الأمان فمنحاه للمصلحة لكنهما احتجزا. كما قبض على سعد بن عبدالله حياً في القلعة فطلب الأمان فمنح إياه. كما قبض على كل من صالح بن رشيد وهو من أكبر أعوان الإمام عبدالله بن سعود حيث كان بمثابة وزير، وكذلك أحمد الحنبلي رئيس العلماء وقد سجنا.[٢]

وهكذا ومن خلال هذا الاستعراض السريع لأهم نتائج سقوط الدرعية ونهاية الدولة السعودية الأولى يمكن أخذ صورة عن مدى الخسارة التي تركتها حملات والي مصر محمد علي باشا على بلاد شبه الجزيرة العربية عامة، وعلى البلاد التي كانت تضمها الدولة السعودية الأولى. ورغم هذه النتائج المؤلمة، إلا أن الله حفظ دينه وعباده بقيام الدولة السعودية الثانية بعد فترة وجيزة لتكمل العمل الذي بدأته الدولة السعودية الأولى.

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٧، من والي مصر محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٠ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

obeikan.com

المبحث الرابع

الجوانب الإدارية والحضارية في منطقة الرياض

النظام الإداري:

كانت نواة الدولة السعودية الأولى إمارة صغيرة في الدرعية تُحكم حسب الأعراف والتقاليد القبلية. وعندما قامت الدولة السعودية الأولى بعد الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود عام ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤م كان الإمام محمد بن سعود هو حاكم الدولة التي لم تتعدى حدودها الدرعية في هذه المرحلة المبكرة. ومع تزايد البلدان التي انضمت إلى الدولة في بداية حكم الإمام محمد بن سعود، كان يقوم بأعماله بمساعدة ابنه عبد العزيز وبمشورة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[١] وعندما اتسعت رقعة الدولة في أواخر عهد الإمام محمد بن سعود وخلال عهد ابنه عبدالعزيز تغير تبعاً لذلك نمط الحكم من الرئاسة القبلية إلى أسلوب نظام الحكم المدني الشامل. كما ظهر واضحاً تأثير الأسلوب الإصلاحي للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وخاصة بعد أن بدأ الإمام محمد بن سعود يستشير الشيخ في كثير من مسائل الحكم والإدارة. لقد حل نظام الحكم الإسلامي محل النظام القائم على العرف والتقاليد وأصبح الأمير الحاكم يحمل لقب الإمام ليعطي الدولة صفتها الإسلامية. وتبعاً لهذا التغير في مفهوم الدولة برزت الحاجة إلى تنظيم أمورها في مختلف أوجه الحياة، وخاصة بعد أن امتدت رقعة الدولة لتشمل أغلب مناطق شبه الجزيرة العربية.

ففي المجال الإداري قُسمت الدولة إلى عدد من الأقاليم بلغت واحداً وعشرين إقليماً. ورغم أن الإمام هو المشرف العام على الشؤون الإدارية في الدولة، إلا أنه بعد اتساع رقعة الدولة، أصبح بحاجة إلى من يعينه على الإشراف على إدارة الإقليم ومن هنا برزت الحاجة إلى الاستعانة بأمراء الأقاليم، حيث خوّلهم سلطات واسعة في نطاق إماراتهم وفي حدود السياسة العامة للدولة وما يصدره الإمام من تعليمات.[٢]

ومراعاة لخطة هذا الكتاب سنركز الحديث على الأقاليم (البلاد) التي تشملها منطقة الرياض حالياً.

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٥.

فبالإضافة إلى الدرعية، عاصمة الدولة والتي تعتبر بمثابة إقليم يضم البلاد المحيطة بها، مثّلت أقاليم منطقة الرياض خمسة أقاليم من مجموع أقاليم الدولة هي: وادي الدواسر، الخرج، المحمل، الوشم، سدير، بالإضافة إلى إقليم المجمعة ومنيخ، لكنهما كانتا غالباً تابعتين لأمير سدير. ويقوم على كل إقليم أمير قد تمتد مدة إمارته لتشمل حكم أكثر من حاكم، وقد تقتصر على سنة أو أكثر من حكم أحد الحكام من آل سعود.[١]

وكانت مهمة أمراء الأقاليم القيام بالأعمال الإدارية نيابة عن الإمام في أقاليمهم، والإشراف على أمورها، وتنفيذ الأنظمة التي تصدرها الدولة. ومن المهام الأخرى المنوطة بأمراء الأقاليم تجهيز ما تحتاجه الدولة من القوة العسكرية في أوقات الحرب، ومساعدة جامعي الزكاة. وقد طبقت الدولة النظام المرن في الصرف على الأقاليم، وخاصة من غنائم الحرب التي يتولاها إقليم من الأقاليم، حيث يصرفها في مصارفها الشرعية فيعزل خمس الغنائم ويرسلها إلى بيت المال في الدرعية ويصرف الباقي في أوجه مصارفه الشرعية.[٢]

ومن جهة أخرى كانت تعليمات الحكومة تلزم الأمراء باستشارة ذوي الرأي ووجهاء البلاد من الحاضرة، ومشايخ القبائل في الأقاليم حتى يكون الرأي شورى بينهم، ويبتعدوا عن الظهور بمظهر الحكّام المستبدين. وقد برزت بعض البيوت التي أمدت الدولة برجال أكفاء تولوا إمارة بعض الأقاليم مثل أسرة السديري والعفيصان.[٣] أما اختيار أمراء الأقاليم فيتم بعناية من المؤيدين والمتحمسين لتطبيق مبادئ الدعوة الإصلاحية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي قامت الدولة السعودية على أساسها، وأصبحت المدافع عنها والساعي إلى نشرها في داخل الجزيرة العربية وخارجها.[٤] وكانت الدولة حريصة على تطبيق الأنظمة في مختلف أقاليم الدولة. وكان الإمام لا يتوانى عن عزل أمير

---

(١) انظر عن أمراء الأقاليم في عهد الدولة السعودية الأولى بعد عهد الإمام محمد بن سعود: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٧٨، ٣٦٢-٣٦٣، ص٤٢٣. وانظر كذلك: عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧)، مرجع سابق، ص ص ٢٤٤-٢٣٥.

(٢) مؤلف مجهول، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٥٠.

(٣) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧)، مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

الإقليم، أو عقابه إذا تهاون في عمله أو بدرت منه بوادر تخالف سياسة الدولة.[١]

القضاء والحسبة:

ولم يكن أمير الإقليم وحده المسؤول عن تطبيق الأنظمة في الأقاليم، بل كان هناك اختصاصات أخرى لها مسؤولون يتولون تنفيذها. فهناك القضاة الذين يتولون إصدار الفتاوى التي تهم الناس، ويفصلون في الأحكام الشرعية، وينفذون ما يصدر عنها من أحكام بمساعدة أمير الإقليم.

والواقع أن القضاء والحسبة يعتبران حجر الزاوية في سياسة الدولة السعودية الأولى، خاصة وأن هذه الدولة قامت أساساً على مبدأ نشر العقيدة الإسلامية الصافية وتصحيح بعض المفاهيم والعادات التي شابت هذه العقيدة في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية. وكان القاضي يُمنح راتباً سنوياً من بيت المال. وكان القضاة يقومون بأعمالهم في المعاملات والعبادات، ولا يفرقون في أحكامهم، وكانت أحكامهم نهائية.[٢]

أما نظام الحسبة، وهو ما يعرف اليوم بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان إرثاً إسلامياً طُبق على مر العصور، ولذلك كان من مبادئ الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بل إنه المبدأ الذي ميزها عن غيرها من الدعوات الإصلاحية، لأنه عبارة عن تطبيق عملي لمبادئ الدعوة.[٣] ولهذا السبب حرصت الدولة السعودية منذ تكوينها على إحياء هذه السنة ودعمها لتقوم بالدور الديني والإرشادي المكمل لأجهزة الدولة القضائية والإدارية. وبالإضافة إلى تنبيه الناس لحضور الصلاة في أوقاتها كان من مهمة رجال الحسبة الحث على التآخي بين الناس، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة والعادات السيئة والضارة بالمجتمع. وفي جانب المعاملات كان رجال الحسبة يشرفون

---

(١) مؤلف مجهول، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٥١؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧)، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

(٢) للمزيد من المعلومات عن النظام القضائي في الدولة السعودية الأولى، والعقوبات في الجرائم والقضايا راجع: عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧)، المرجع السابق، ص ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٣) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ٣٩؛ السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، **توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص ١٨٧.

على عمليات البيع والشراء، وتفقد المكاييل والموازين عن التطفيف في الكيل أو الوزن، فيما يعرف الآن باختصاص البلديات.

وقد تولى القضاء في بلدان منطقة الرياض في عهد الدولة السعودية الأولى رجال من خيرة العلماء قاموا بواجبهم خير قيام على رأسهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب. فبالإضافة إلى دوره الجهادي، كان يتولى بنفسه أمر القضاء والحسبة في عاصمة الدولة، الدرعية، بل إنه نفّذ بنفسه بعض الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى الدروس العلمية التي كان يعقدها في المسجد. وبعد الشيخ محمد بن عبدالوهاب تولى أمر القضاء في الدرعية أبناء الشيخ وأحفاده. أما في البلاد والأقاليم الأخرى التي يضمها اسم منطقة الرياض حالياً، فهناك عدد من القضاة الذين قاموا بواجبهم في القضاء والحسبة خلال عهد الدولة السعودية الأولى. وفيما استمر بعضهم فترة طويلة من عمر الدولة السعودية الأولى، كان بعضهم يعين مدة محدودة تصل إلى عام أو أكثر، وبعضهم ينقلون إلى بلاد أخرى.[١]

الحياة العلمية:

لا شك أن النواحي العلمية، وخاصة العلم الشرعي المبني على تأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس الناس، وإبعاد ما خالط تصرفاتهم وسلوكهم من البدع والخرافات، كان من أولى اهتمامات الدولة السعودية الأولى التي قامت لتأييد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل كان هذا هو الهدف الأساس لقيامها. وفي فجر عهد الدولة ازدهرت الحياة العلمية في بلاد منطقة الرياض باعتبارها منشأ الدعوة والدولة.

والواقع أن الدرعية، خلال عهد الدولة السعودية الأولى وبفضل انتشار الدعوة الإصلاحية، كانت منارة للعلم، وميداناً للتفقه في الدين، ومركزاً من مراكز الإشعاع الفكري في الجزيرة العربية، حيث شع منها ضياء النهضة الإسلامية الحديثة في الجزيرة العربية. لقد كانت الدرعية موئلاً للعلم وينبوعاً ينهل منه طلاب الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث كان الاهتمام بالعلم والحرص عليه من سمات هذه المدينة والقاصدين لها.[٢]

---

(١) انظر عن أسماء هؤلاء القضاة في عهد الدولة السعودية الأولى بعد عهد الامام محمد بن سعود: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١ ص ٢٧٨-٢٧٩، ٣٦٣-٣٦٤، ٤٢٣-٤٢٤. وانظر عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ص ٦٩.

لقد برزت الأهمية العلمية للدرعية بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد تزايد عدد طلاب العلم الذين يفدون إليه من مختلف بلاد منطقة الرياض بحدودها الحالية، بل ومن جميع بلاد نجد وغيرها من بلاد الجزيرة العربية. وبذلك أصبحت الدرعية أول مركز ثقافي إسلامي، ليس في الدرعية أو في بلاد نجد وحدها، بل في شبه الجزيرة العربية كلها.(١) وقد نفع الله بالشيخ وعلمه حيث رُوي أنه كان في الدرعية في وقته أربعمائة عالم مؤهلين للقضاء، وأن قرية من قرى الوشم كانت تضم ثمانين عالماً كلهم يحملون مؤهلات القضاء.(٢)

والحقيقة أن نشر العلم يحتاج إلى دعم وتشجيع من الحكام في كل زمان ومكان، ولذلك نرى ازدهار الناحية العلمية في الدرعية قد واكب قيام الدولة السعودية الأولى وتعزز في ظلها. لقد كان تشجيع حكام الدولة السعودية الأولى للعلم وأهله واضحاً منذ تعاهد مؤسس الدولة الإمام محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب مما مكنه من الالتقاء بطلابه في جو آمن. ليس هذا فحسب، بل إن الحكام من آل سعود كانوا يرعون العلم وتشجيع المتفوقين من حفظة القرآن الكريم، وطلاب العلم عموماً بالمنح والهبات السخية، وذلك لما يؤمّلونه منهم من القيام بدور بنّاء في توعية عامة السكان، وربطهم بالعقيدة الإسلامية، ومؤازرة الدولة في جهادها لتعميم الدعوة الإصلاحية. وفي هذا المجال كان الإمام عبد العزيز بن محمد يمرّ به الصبيان إذا خرجوا من مدارسهم فيعطيهم جوائز قيمة لأحسنهم خطاً، وأجودهم عبارة. وزيادة في تشجيع العلم وأهله كان أئمة آل سعود في زمن الدولة السعودية الأولى أنفسهم يتلقون العلم ويحضرون مجالسه ويشجعون طلابه. وتمشياً مع هذا الهدف خُصصت بعض الأماكن والقاعات في قصر الحكم لتكون منابراً للعلم والثقافة والتفقه في علوم الدين، من فقه وحديث وتفسير.(٣) لقد اتبع حكام الدولة السعودية الأولى تقليداً حميداً معروفاً منذ أيام المأمون في العصر العباسي هو حلقة الدرس التي يقرأ فيها بعض كتب التفسير، والسيرة النبوية، وقراءة كتب التاريخ والأخبار. وقد أشار ابن غنام وابن بشر إلى المجالس التي كانت تعقد للدرس في الدرعية. لقد

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٢.

(٢) آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، **تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان**، مطابع مؤسسة النور للطباعة والنشر، الرياض، ج١، ص ٥٦.

(٣) مكتب المهندس زهير كامل ياسين، (د. ت.)، **امتداد قصر سلوى وقصر عبدالله بن سعود، حي الطريف، الدرعية**، الادارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف، الرياض، ص ١٠.

كان الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود يحيي تلك المجالس، وكان ابنه الإمام سعود بن عبد العزيز حريصاً على العلم، حيث كان قد أخذ العلم على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عدة سنين، وكان مشهوراً بالعلم، ومجلسه مجلس ذكر وعلم. وكان للإمام سعود مجلس علم في السوق التجاري في الدرعية تلقى فيه الدروس من بعد طلوع الشمس يحضره عدد كبير من الناس. وبعد صلاة المغرب يجتمع الناس عنده في القصر للدرس والمذاكرة. وفي هذه المجالس العلمية كانت تقرأ كتب الحديث مثل صحيح البخاري، وكذلك كتب التفسير، مثل ابن كثير والطبري، وكان الإمام سعود يعلق على تلك القراءات تعليقاً علمياً يستفيد منه العلماء وطلبة العلم، ويحل كثيراً من المعضلات والمشكلات العلمية التي كانت تُطرح في ذلك الدرس.(١)

النشاط الاقتصادي:

رغم أن الدولة السعودية الأولى، ككيان سياسي، حديثة التكوين حيث يعود تاريخها إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، إلا أنها لم تنشأ من فراغ، بل قامت لتحل محل مجموعة من الإمارات الموجودة قبل ذلك. وكانت هذه الإمارات والبلدان لديها مقومات اقتصادية، متنوعة زراعية وصناعية وعمرانية وغيرها من أوجه النشاط البشري، لكن هذا النشاط الاقتصادي كان محدوداً كماً وكيفاً، بالإضافة إلى اتخاذه طابعاً محلياً صرفاً لم يتعد حدود البلاد التي يوجد فيها أو البلاد المجاورة في منطقة الرياض. وعندما قامت الدولة السعودية الأولى بالبيعة بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، وما تلاها من مراحل تكوين الدولة، أخذت هذه المقومات طابعاً جديداً وبدأ النشاط الاقتصادي يتجه من المحلية إلى الإقليمية ثم الخارجية.

وفي بداية عهدها، كانت الدولة السعودية الأولى محصورة في رقعة صغيرة لا تتعدى الدرعية وما حولها، ولم يكن هناك مورد مالي معروف، بل كان مصدر دخل الأمير ما يأخذه من خراج على أهلها

(١) للمزيد من المعلومات عن حلقات العلم ومشاركة حكام آل سعود فيها في عهد الدولة السعودية الأولى انظر: الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د. ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ص ص ٨٢، ٨٣؛ الشويعر، محمد بن سعد، (شوال ١٤١٧هـ)، الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مكانتها السياسية والتاريخية والحضارية، **الدارة**، السنة الثانية والعشرون، العدد الرابع، ص ص ١٧-١٩.

وقت جني الثمار مقابل حمايتهم، وهو ما دعاه إلى أن يشترط، عند الاتفاق بينه وبين الشيخ محمد بن سعود، بقاء هذا الدخل، فأخبره الشيخ أن ذلك سينتهي مع الوقت بعد أن يبسط الله الرزق له جزاء مناصرته الدعوة، كما أوضحنا في بداية هذا الفصل. وقد استمرت حالة الدرعية على هذا الوضع في بداية قيام الدولة مما زاد من الأعباء المالية عليها، ومما زاد من تلك المعاناة ازدياد عدد سكانها بقدوم المهاجرين إليها رغبة في العلم على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى إنه ضاق بهم العيش من شدة الحاجة مما اضطرهم إلى أن يعملوا في الليل للاسترزاق، والجلوس في النهار للدراسة، وقد استمروا على هذا الوضع حتى فرّج الله عليهم واتسع الرزق.[١] ومع مرور الوقت استمر الدخل المالي في الدرعية شحيحاً خلال جزء كبير من عهد الإمام محمد بن سعود رغم بداية التحسن في الموارد المالية نتيجة لاتساع رقعة الدولة. وفي عهد الإمام عبد العزيز بدا التحسن واضحاً في دخل الدولة، خاصة بعد أن اتسعت حدودها وشملت مناطق غنية اقتصادياً، بالإضافة إلى ما تتقاضاه الدولة من زكاة على بعض المناطق في الخليج وغيره. وقد بلغ دخل الدولة من الزكاة سنوياً ما يزيد على مليونين من الريالات، فضلاً عن الغنائم من عمليات الجهاد.[٢] ونتيجة لذلك أصبح للدولة السعودية في دورها الأول نظام مالي متميز قائم على مبدأ نظام الاقتصاد الإسلامي، حيث بدأ تطبيق الأنظمة الإسلامية في جميع المجالات. وقد شمل النشاط الاقتصادي جميع أوجه الأنشطة التجارية والزراعية والحرفية وغيرها مما كان يتلاءم مع متطلبات ذلك الوقت.

وباعتبار الدرعية عاصمة الدولة والنموذج الذي يمكن وصفه من خلال المصادر المتاحة، فإنه يمكن القول إن أثر ذلك التطور الاقتصادي والتحسن في مستوى نشاط السكان قد ظهر واضحاً في مستوى الوضع الاقتصادي للدرعية، حتى إذا جاء عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بلغت الدرعية أوج ازدهارها الاقتصادي. أما بقية البلاد فقد نالها نصيبها من التطور الاقتصادي بنسب مختلفة كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

ففي مجال التجارة ساهم أهل بلاد منطقة الرياض في النهضة الحضارية التي عاشتها الدولة

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١ ص ٤٣.

(٢) مكتب المهندس زهير كامل ياسين، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ٨. وللمزيد من المعلومات عن مقدار الزكاة الذي تأخذه الدولة من البلاد التابعة لها عموماً، ومن بلاد منطقة الرياض خصوصاً انظر: مؤلف مجهول، (د. ت)، مصدر سابق، ص ١٧٩.

السعودية الأولى. وكانت الدرعية من أهم البلاد التي قام سكانها بدور تجاري واضح، حيث كانت دار تجارة يقصدها الناس من أنحاء الجزيرة العربية وغيرها.[١] وقد اشتهر سوق الدرعية التجاري والمالي، حيث اتصلت بغيرها من البلدان، وازداد تعاملها التجاري مع كثير من البلاد داخل بلاد نجد وخارجها. وأصبح التجار من أهلها يتاجرون في مدن مختلفة من الولايات العثمانية رغم صعوبة المواصلات في ذلك الوقت. ولا شك أن من المتطلبات الأساسية لنمو الاقتصاد قوة الحكم واستتباب الأمن.[٢] يقول ابن بشر واصفاً الحالة الاقتصادية فيها خلال عهد الإمام سعود، "ولقد رأينا الدرعية بعد ذلك في زمن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى، وما فيه أهلها من الأموال وكثرة الرجال والسلاح المحلى بالذهب والفضة وعندهم الخيل الجياد والنجائب العمانيات، والملابس الفاخرة، والرفاهيات، ما يعجز عن عده اللسان ويكل عن حصره الجنان والبنان"، ثم وصف سوقها التجاري، حيث موسم الرجال في جانب وموسم النساء في جانب آخر. وكانت الدكاكين منتشرة على الجانب الشرقي والغربي من السوق، وما فيها من الهُدم والقماش والسلاح الذي يستعصي على الوصف. ثم ذكر كيف أن السوق كان مزدحماً بالبائعين والمشترين، وأنواع البضائع من الذهب والفضة والسلاح والماشية من الإبل والأغنام، وضخامة الصفقات التجارية التي كانت تتم.[٣] ومع ازدهار التجارة في الدرعية توزعت الأسواق وتنوعت، فهناك سوق للخيل، وسوق للإبل، وسوق للنعام وغيرها.[٤] ويصف الألوسي الوضع الاقتصادي المزدهر للدرعية وما كان يدخل على أهلها من الأموال الكثيرة على اختلاف أجناسها، وما كان من سوقها التجاري، وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق كاليمن وتهامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم وغيرهم. وعن مستوى الأسعار، وخاصة العقارية منها، ذكر الألوسي أن البيوت لا تباع فيها إلا نادراً وكانت أثمان

---

(١) مؤلف مجهول، (د. ت)، مصدر سابق، ص ١٥١.

(٢) آل زلفه، محمد بن عبدالله، (١٤١٩هـ)، الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب، **الدرعية**، السنة الأولى، العدد الأول، ص ١٦٠؛ الشويعر، محمد بن سعد، (شوال ١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص ١٢.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٤٤.

(٤) آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، مرجع سابق، ج١، ص ٥٥.

منازلها في ذلك الوقت تتراوح ما بين ألف إلى خمسمائة ليرة عثمانية. أما أجرة الحوانيت والدكاكين فقد بلغت في ذلك الوقت خمسة وأربعون ريالاً في الشهر للدكان الواحد، بل بلغت أجرة بعضها في اليوم الواحد ريالاً واحداً وهو قريب من المجيدي. وتزداد قيمة الأجرة إذا أتت القوافل إليها، حيث تبلغ أجرة الدكان في اليوم حينئذ أربعة أمثال الأجرة المعتادة.(١)

وفي مجال الزراعة تعتبر منطقة الرياض من البلاد المنتجة زراعياً كغيرها من بلاد نجد. بل إن الزراعة تعتبر أهم الحرف التي كان السكان يعتمدون عليها بعد الله في حياتهم اليومية. ففي هذه المنطقة توجد قرى كثيرة يشتغل أهلها بالزراعة، وأراض واسعة صالحة للزراعة، وثروة حيوانية تعيش على الزراعة والرعي. وأرضها معتدلة الخصوبة تنتج القمح والشعير والتمر وبعض الفواكه.(٢)

والواقع أن جميع بلدان منطقة الرياض اهتمت بالزراعة خياراً استراتيجياً للحياة هناك. ففي العاصمة الدرعية يزرع النخيل وأشجار الرمان والخوخ والمشمش وبعض أشجار العنب والليمون، كما تزرع بعض المنتجات الغذائية الأخرى مثل القمح والشعير والدخن.(٣) وفي بلاد سدير يعيش السكان على الزراعة في مختلف البلاد هناك مثل الروضة والحوطة والداخلة والعطار والعودة حتى إن هذه المنطقة عرفت بريف نجد لما تحتوي عليه من الزروع والفواكه الطيبة، والصحاري التي تنبت العشب. وفي بلدة ضرما تكثر الحنطة والشعير، وفي وادي عرقه زروع كثيرة، وخاصة البطيخ. وفي بلاد اليمامة من إقليم الخرج تكثر العيون الجارية، والأراضي الخصبة. وفي الحوطة يكثر النخيل. وفي الأفلاج أرض فيحاء واسعة كثيرة الآبار، وفيها عدة عيون غزيرة عميقة غير جارية. وفي وادي الدواسر يكثر النخيل ويكثر فيها القطن.(٤)

وفي مجال الصناعة، قامت في بلاد منطقة الرياض بعض الصناعات الخفيفة التي يحتاجها السكان في حياتهم. وتتشابه الصناعات اليدوية في هذه البلدان، ومنها صناعة السفر التي تستخدم للأكل

---

(١) الألوسي، محمود شكري، (١٣٤٣هـ)، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) آل زلفه، محمد بن عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ص ١٦٠-١٦١.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦٣.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن الزراعة والمنتجات الزراعية في بلاد نجد عامة، وفي بلاد منطقة الرياض خاصة راجع: مؤلف مجهول، (د.ت)، مصدر سابق، ص ص ١٥٢-١٥٣.

وتصنع من الجلود المدبوغة. ومن الصناعات اليدوية لدى سكان نجد النجارة، وصياغة الذهب والفضة، وخياطة العباءات والثياب، والحياكة. ومن جانب آخر نشأت في بلاد منطقة الرياض الصناعات التي تستخدم في مجال القتال والحرب، والتي تعتبر متقدمة قياساً على صناعات الوقت الذي وجدت فيه. وأهمها صناعة التفق والبندق المزود بفتيل، حيث شاع في جميع بلدان نجد، بل إنه بدأ تصديره إلى خارج البلاد مثل اليمن، وإلى أطراف بلاد جهينة، وكثير من أراضي الحجاز، وهو لطيف الصنعة، سريع الرمي، قليل الخطأ، بعيد الرمية، خفيف الحمل، متوسط بين الطول والقصر، يبلغ قيمة الغالي منه عشرة ريالات والرخيص ما بين خمسة وستة ريالات. ومن الصناعات المهمة صناعة السيوف في الدرعية وبلاد سدير، وكذلك صناعة أسنة الرماح والخناجر، وسرج الخيل.(١)

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن الوضع الاقتصادي في الدولة السعودية الأولى عموماً، وفي البلاد التابعة لمنطقة الرياض حالياً بخاصة اكتنفته عوامل عدة حدّت من تطوره ومن هذه العوامل:

١- أن الموارد الاقتصادية للدولة في عهد الدولة السعودية الأولى كانت تعتمد اعتماداً يكاد يكون تاماً على الرعي، والزراعة، ومنتجاتهما، وما تتقاضاه الدولة من زكاة عليها. أما الصناعة فكانت بدائية وتعتمد على الجهد الفردي، ولذلك لم تكن تشكل دخلاً للدولة، كما أن عروض التجارة كانت محدودة، ولم يكن هناك معادن تستخرج من باطن الأرض.

٢- أن الطبيعة الصحراوية للبلاد السعودية واعتمادها على مياه الأمطار جعلت اقتصادها يتذبذب بين سنة وأخرى بحسب نصيبها من مياه الأمطار.(٢)

ولذلك فمهما تحدثنا عن التطور المالي والازدهار الاقتصادي فإن الأمر لا يعدو أن يكون نسبياً، مما يجعل من الصعوبة مقارنة الموارد الاقتصادية في الدولة السعودية الأولى بموارد بعض الدول المجاورة المتقدمة زراعياً أو صناعياً.

---

(١) للمزيد من التفصيل عن الصناعات اليدوية في بلاد نجد عامة، وفي منطقة الرياض خاصة، انظر: مؤلف مجهول، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ص ١٨٩-١٩٢.

(٢) كان هذا التذبذب من الأمور التي ذكرها ابن بشر في تاريخه بحسب السنوات، وخاصة عندما يكون الأمر غير عادي. ولمزيد من التفصيل عن جوانب من أحوال السكان في بلاد منطقة الرياض في عهد الدولة السعودية الأولى، انظر: الخضيري، محمد بن سليمان، (محرم ١٤١٧هـ)، العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد ١١٥٨-١٣٠٩هـ، **الدارة**، السنة الثانية والعشرون، العدد الأول، صفحات متفرقة وكذلك الملاحق.

النظام المعماري:

لا يختلف نظام البناء في بلاد منطقة الرياض زمن الدولة السعودية الأولى عن غيره في بقية بلاد نجد كثيراً. وكان غالب البيوت يتكون من دور واحد حيث إن السكان في هذه المنطقة لا يحبذون البناء على نظام الطبقات العالية، وإذا أحب بعضهم أو اضطر إلى بناء غرفة أو أكثر في أعلى البيت فإنه يبنيها بأقل علو ممكن، وكانت بيوتهم تحوي فضاء واسعاً.[١] وفي منطقة الرياض توجد أعداد من القرى والمدن ما بين كبيرة وصغيرة أقيمت في أماكن مناسبة، لكنها بنيت بغير انتظام، إما في سفوح التلال أو في بطون الأودية، لكنها كانت مكتظة بالسكان.[٢]

وباعتبار الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى ومقر الحكم فإنها تحتوي على بعض النماذج الحضارية التي توضح جانباً من النظام المعماري في الدولة، وهذا يدعونا إلى بسط المزيد من المعلومات عن هذه المدينة من خلال وصف بعض من زاروها في ذلك الوقت أو سمعوا عن أهلها أو سمعوا ممن زارها.

كانت الدرعية أهم المدن في منطقة الرياض وأكثرها سكاناً، حيث قدرت مساحتها في عهد الدولة السعودية الأولى بحوالي فرسخين طولاً ونصف الفرسخ عرضاً، كما قدرت منازلها بحوالي ٢٥٠٠ منزل. وقد بنيت أجزاء منها بالحجارة والأجزاء الأخرى باللبن موزعة على ضفتي الوادي. وهي تحتوي على ٢٨ مسجداً بها مدارس لتحفيظ القرآن الكريم يتلقى فيها الطلاب الدراسة على فترتين في اليوم ما عدا يوم الجمعة. أما السوق فيتكون من متاجر مبنية من القصب مؤقتاً مما يشبه العشش تقام في وسط الوادي نفسه، وعند هطول الأمطار ينقلونها إلى مكان آخر. وفي ذلك الوقت كانت الدرعية تضم عدة أحياء هي: الطريف، والبجيري، والسريحة، وسمحان، وبريكة، والمريح، وملوى، والطوالع، والظهرة. وأهم هذه الأحياء حي الطريف الذي يقع على ضفة الوادي من الجهة الجنوبية، وهو الحي الرئيس بالدرعية الذي يوجد به قصر الحكم (قصر سلوى) وقصور الأمراء من آل سعود وبيت المال. وهناك حي البجيري ويقع على الضفة الشرقية من الوادي وبه مسجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومدرسته وبيته وبيوت أبنائه وبقية أفراد عائلته. وشمال حي البجيري يقع حي السريحة وبه بيوت

---

(١) مؤلف مجهول، (د. ت.)، مصدر سابق، ص١٨٧.

(٢) آل زلفه، محمد بن عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ص ١٦١.

ومساكن الأعيان من الأهالي، وأيضاً حي غصيبة وهي العاصمة الأولى للمنطقة. وقد أقيمت الأسوار والأبراج والحصون حول مدينة الدرعية فضلاً عن الأسوار المحيطة بكل حي من أحيائها السابقة. وكانت الدرعية مقصداً للأمراء ورؤساء القبائل والسفراء وعلية القوم وملجأ وموئلاً لكل مظلوم ومحتاج وفقير، وذاع صيتها عاصمة لدولة مترامية الأطراف يسودها الأمن والاستقرار والعزة والرخاء الاقتصادي. ويصف الألوسي مدى التطور المعماري الذي شهدته الدرعية خلال الفترة الأخيرة من عمر الدولة السعودية الأولى بأنها كانت من أعظم بلاد نجد وأحسنها بناء، وموقعاً، وأكثرها بيوتاً، وأزيدها سكاناً، وأوفرها أموالاً ورجالاً. وكانت كل بيوت البلدة مقاصير وقصوراً حتى إن من يشرف عليها من محل مرتفع يرى أمراً عظيماً ولا سيما موسمها وما فيه من جماهير الأمم والخلائق الذين يسمع لهم دوي كدوي النحل من مكان بعيد. (١)

ومن أهم القصور في الدرعية قصر سلوى، وهو مقر أمراء وأئمة آل سعود طوال حكم الدولة السعودية الأولى. وأول من بناه الإمام محمد بن سعود الذي حكم الدرعية طيلة أربعين عاماً ١١٣٩-١١٧٩هـ/ ١٧٢٥-١٧٦٥م، ولذلك فإنه يعتبر المؤسس الأول لقصر سلوى وإليه يرجع الفضل في بناء الوحدة الأولى من القصر بقسميها بالإضافة إلى المسجد الجامع واستكمال البئر. ومن الطبيعي أن يبدأ البناء من حافة الوادي الشمالية، وأن تتوالى الوحدات الأخرى بعد ذلك وتمتد إلى الجهة الجنوبية. يقع قصر سلوى في محلة سلوى بالجهة الشمالية الشرقية لحي الطريف في مقدمة الحي. ويحد القصر شمالاً وادي حنيفة وشرقاً بيت المال، وغرباً مسجد الإمام محمد بن سعود (مسجد الطريف)، وجنوباً قصر الإمام عبد الله بن سعود وقصور إخوته الأمراء فهد وإبراهيم وغيرهم من أبناء الإمام سعود ابن عبد العزيز، كما يوجد بالجهة الغربية البئر التي كانت تغذي سكان القصر بالماء.

ويعتبر القصر أكبر قصور مدينة الدرعية بصفة خاصة، ومنطقة نجد وما جاورها بصفة عامة، حيث أقيم على مساحة تقارب عشرة آلاف متر مربع، ويتكون من سبعة وحدات معمارية. وقد شيد القصر بإتقان ومهارة ودقة في التخطيط المعماري حيث تتعدد فيه الطوابق مما لم يكن مألوفاً في ذلك الوقت. وقد تم بناؤه على أيدي فنيين وعمال مهرة من المتخصصين في مختلف المهن والحرف من أبناء المنطقة. وتقدر تكاليف بناء القصر، طبقاً للأسعار السائدة حين ذاك، بنحو مائتي ألف ريال.

---

(١) الألوسي، محمود شكري، (١٣٤٣هـ)، مرجع سابق، ص ٢٥.

وعلى مقربة من قصر سلوى يقع قصر آخر يدعى قصر بيت المال وهو دائري الشكل تقع على أسواره بعض الأبراج. ومن الجهة الغربية من القصر الكبير توجد بقايا مسجد الطريف القديم.[١]

ومن الآثار الباقية في الدرعية اليوم قصر الإمام عبد الله بن سعود الواقع في حارة سلوى التي تقع بالجهة الشمالية الشرقية من حي الطريف.[٢] وهو مبني من الطين ولا تزال جدران القصر قائمة حتى الآن رغم طول المدة، ويبلغ سمك الجدار الواحد منها حوالي متر ونصف المتر، وقد شيدت أساساته من الحجارة المقصّبة المقطوعة من جبال الدرعية إلى علو مترين تقريباً، أما بقية أجزاء البناء فقد جرى بناؤه من اللبن والطين. ويقوم في الركن الجنوبي من القصر برج عال يستخدم للمراقبة يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثين متراً. ويمتد من القصر طريق مدرّج من الحجارة المطابقة يطلق عليه "درب فيصل" ويفضي إلى "الدريشة" وهي قلعة تقع على ربوة عالية تشرف على الوادي والهضاب المحيطة به. وحول هذه القلعة منبسط من الأرض يسمى "كوع الخيل" كانت تربط فيه الخيول. ومن هذه القلعة يستطيع الزائر أن يرى عدداً كبيراً من الأبراج القائمة على ضفتي الوادي.

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن الدرعية وآثارها، وخاصة قصر الإمام عبدالله بن سعود، وقصر الحكم (قصر سلوى) راجع: آل زلفه، محمد بن عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ص ١٦٢-١٦٣: مكتب المهندس زهير كامل ياسين، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص٨، ١٠-١١؛ إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٦١، ٦٦.

(٢) صدر الأمر السامي الكريم عام ١٣٩٣هـ بالموافقة على مشروع إحياء وتطوير مدينة الدرعية. ومنذ ذلك الوقت اتخذت الخطوات العملية لبدء الترميم حيث تم تسجيل الآثار التي سيشملها الترميم وهي: قصر ناصر بن سعود ومسجد سعد، وقصر سلوى، وبيت المال، وقصر سعد، وحمام الطريف، وقصر ثنيان، وأسوار وأبراج حي الطريف. ولمزيد من المعلومات انظر: مكتب المهندس زهير كامل ياسين، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ٣.

obeikan.com

obeikan.com

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق:

دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ بحر برا، محفظة ١٦ ، **وثيقة ١٢٢** .

دار الوثائق القومية بالقاهرة، من إبراهيم باشا إلى محمد علي، محفظة ٥ بحر برا، **وثيقة رقم ١٨٦** ، بتاريخ ١٧ ربيع ١٢٣٣هـ ٢٥ يناير ١٨١٨م.

دار الوثائق القومية بالقاهرة، من إبراهيم باشا إلى محمد علي، محفظة ٥ بحر برا، **وثيقة رقم ٩٤** ، بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ/ ١٣ يوليو ١٨١٨م.

دار الوثائق القومية بالقاهرة، من حسن باشا إلى محمد علي، محفظة ٤ ، **وثيقة رقم ١٨** ، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢هـ ١٢ يونية ١٨١٧م

دار الوثائق القومية بالقاهرة، من محمد علي إلى الباب العالي، دفتر ١ ، معية تركي، **وثيقة رقم٤** ، بتاريخ ذي الحجة ١٢٢٢هـ ديسمبر ١٨٠٧م.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٦٥** ، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٢٨هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٧٤** ، من محمد علي باشا إلى السلطان، بتاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٩٠** ، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٠هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٩٢** ، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٤هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٩٧** ، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٣٣٢هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ٢٠٢**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان بوساطة رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ٢٠٣**، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ٢٠٧**، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١ جمادى الأول ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ٢٠٨**، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٠**، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، بتاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٤**، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، بتاريخ ١٣٣٢هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-١٥٢**، من والي مصر محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٣هـ

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٤**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٥**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٩ رمضان ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٦**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١ ذو القعدة ١٢٣٣هـ.

obeikan.com

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٧**، من والي مصر محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٠ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٨**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٢٧ ذي الحجة، ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٩**، من محمد علي باشا إلى السلطان، بتاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٨٤**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٢٤ رجب ١٢٣٤هـ.

ثانياً: المصادر العربية:

ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات الجزري، (د. ت.)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.

ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر**، وزارة المعارف.

ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، **تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، المدني، القاهرة.

الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (١٣٨٨هـ)، **بلاد العرب**، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجبرتي، عبدالرحمن، (د. ت.)، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، دار الفارس، بيروت.

العصامي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك، (ت ١١١١هـ - ط ١٣٧٩ هـ)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

obeikan.com

الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، **الأخبار النجدية**، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

مؤلف مجهول، (د. ت.)، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب**، نسخه حسن بن جمال بن أحمد الريكي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود، (١٣٩٤هـ)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، وانظر كذلك طبعة السعادة بمصر (١٩٥٣م)، تحقيق محمد بن عبد الله بن بليهد.

ثالثاً: المراجع العربية:

أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ج٢، جغرافية المملكة العربية السعودية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة.

الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف، (د. ت.)، **امتداد قصر سلوى وقصر عبدالله بن سعود**، حي الطريف - الدرعية، مكتب المهندس زهير كامل ياسين، الرياض.

آل بسام، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (ت ١٣٤٦هـ تقريبا)، **(مخطوط) كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، نقله عن الأصل الخطي نور الدين شريبة، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، صورة مخطوطة في دارة الملك عبد العزيز.

آل زلفه، محمد بن عبد الله، (١٤١٩هـ)، الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب، **الدرعية**، السنة الأولى، العدد الأول.

آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، **تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان**، مطابع مؤسسة النور للطباعة والنشر، الرياض، ج١، ص ٥٦.

الألوسي، محمود شكري، (١٣٤٣هـ)، **تاريخ نجد**، تحقيق محمد بهجت الأثري، مكتبة مدبولي، القاهرة.

أمين، أحمد، (١٩٧١م)، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

obeikan.com

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، **معجم اليمامة**، مطبعة الفرزدق، الرياض.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٢هـ)، **الدرعية**، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

با وزير، سعيد عوض، (١٣٨٥هـ)، **معالم تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة الصكبان، عدن.

التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، (١٤١٨هـ)، **الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.

الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ)، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، القسم الثاني، منشورات دار اليمامة، الرياض.

حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، **قلب جزيرة العرب**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

الخضيري، محمد بن سليمان، (محرم ١٤١٧هـ)، العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد ١١٥٨-١٣٠٩هـ، **الدارة**، العدد الأول السنة الثانية والعشرون.

الدريهم، سعد بن عبد الرحمن، (١٤١٣)، **الخرج**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٤٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

ديكسون، هـ. ر. ب.، (١٩٦٤)، **الكويت وجاراتها**، نشره جاسم مبارك الجاسم.

الرافعي، عبدالرحمن، (١٣٧٠هـ)، **عصر محمد علي**، مطبعة الفكرة، القاهرة.

الرويشد، عبد الرحمن سليمان، (د. ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض.

الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، **تاريخ نجد وملحقاته**، مؤسسة دار الريحاني، بيروت.

الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، دار العلم للملايين، بيروت.

السباعي، أحمد، (١٣٨٠هـ)، **تاريخ مكة**، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة.

سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، **سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

سعيد، أمين، (د. ت.)، **تاريخ الدولة السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ١٢٠.

السلمان، محمد بن عبد الله، (١٤١٥هـ)، **توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

الشبل، عبدالله بن يوسف، (د. ت.)، **الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب حياته ودعوته**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

الشويعر، محمد بن سعد، (شوال ١٤١٧هـ)، الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مكانتها السياسية والتاريخية والحضارية، **الدارة**، العدد الرابع، السنة الثانية والعشرون.

الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، **العلاقات السياسية لأشراف مكة بنجد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، **الدولة السعودية الأولى**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مطابع الشريف، الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (د. ت.)، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، دار العلوم، الرياض.

العجلاني، منير، (د. ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد سعود**.

العجلاني، منير، (د. ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد عبدالعزيز**.

العجلاني، منير، (د. ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد عبدالله بن سعود**.

العجلاني، منير، (د. ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد محمد بن سعود**.

عسه، أحمد، (١٣٩١هـ)، **معجزة فوق الرمال**، المطابع الأهلية اللبنانية.

obeikan.com

العيسى، محمد الفهد، (١٣٨٦هـ)، مدينة الدرعية القاعدة الأولى للدولة السعودية، **مجلة العرب**، الجزء الرابع، السنة الأولى.

غرايبة، عبدالكريم محمود، (١٣٨٠هـ)، **مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م**، الجزء الأول العراق والجزيرة العربية، مطبعة جامعة دمشق، دمشق.

الكليب، فهد بن عبد العزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض

لوريمر، ج.ج. (١٩٧٦م)، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، مكتب سمو أمير دولة قطر، الدوحة.

محمد، عبدالرحمن فهمي، (١٩٦٤م)، **النقود العربية ماضيها وحاضرها**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

المسعود، عبد الرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، **الزلفي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

المعجل، عبد الله بن عبد الكريم، (١٤١١هـ)، **حوطة سدير**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٣١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ج ١٠، الرياض.

وهبة، حافظ، (١٣٨٧هـ)، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

رابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

Gibb, H.A.R.; Kramers, J. H., (1934), **Shorter Encyclopedia of Islam**, (Wahhabiya). Leiden.

Lorimer, J.G, (1986), **Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia,** Archive Edition.

Playfair, R. L., (1959), **A History of Arabia Felix or Yemen, from the commencement of Christian Era to the present time,** Education Societys press, Bombay.

Sadlier, G. F., (1866), **Dairy of A Journey Across Arabia from El Khatif in Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, during the year 1819,** Bombay.

Winder, Bayly, R., (1965), **Saudi Arabia in the Nineteenth century**, Macmillan, New York.

Obeikan.com